سلسلة نوادر مصوّرة

الموجز
في تاريخ الأدب العربي

وفق منهج وزارة المعارف العمومية للسنة الثالثة الثانوية سنة ١٩٢٧م

تأليف الشيخ العلامة
أحمد مصطفى المراغي

دار الطاهرية

الموجز
في تاريخ الأدب العربي

الموجز
في تاريخ الأدب العربي

وفق آخر منهج قررته وزارة المعارف العمومية

الجزء الأول

للسنة الثالثة الثانوية

تأليف

أحمد مصطفى المراغي

المدرس بمدرسة دار العلوم

التزم طبعه ونشره

المكتبة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة

« الثمن ٥ قروش صاغ »

المطبعة الحديثة بشارع خيرت بالقاهرة

الطبعة الأولى
١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م
جميع الحقوق محفوظة

الكويت - الجهراء - القيصرية القديمة - مجمع كابيتول مول - السرداب - محل ٢٤
Website : www .daradahriah .com
E-mail : daradahriah@gmail .com
(+965) 99627333 - (+965) 51155398

الموزعون المعتمدون

دار أندلسية للنشر والتوزيع
(الكويت)
darandalusia@hotmail.com
(+965) 94747176

دار التدمرية للنشر والتوزيع
(الرياض)
tadmoria@hotmail.com
(+966) 114925192

مكتبة الميمنة المدنية
(المدينة المنورة)
daralmimna@gmail.com
(+966) 558343947

مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع
(جدة)
hassan_hyge@hotmail.com
(+966) 504395716

المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع
(مكة المكرمة)
alasadi2000@hotmail.com
(+966) 125273037

مفكرون الدولية للنشر والتوزيع
(مصر الجديدة)
mofakroun@gmail.com
(+2) 01110117447

بسم الله الرحمن الرحيم

المعبود الله لا سواه ، والمصلى عليه النبي الأوّاه .

وبعد ، فهذا موجز فى تاريخ أدب اللغة وضعته وفق منهج الدراسة الجديد للسنة الثالثة الثانوية وسأتبعه بعونه تعالى بثان وثالث .

والله أرجو أن يكون وافيا بحاجة الطلاب ، شارحا لما أجمل فى المنهج. وعليه التكلان وبه المستعان ؟

احمد مصطفى المراغى

تحريراً بحلوان سنة ١٩٢٧

تاريخ ادب اللغة وفائدته

تمهيد

كان مما اقتبسه رجالات البعوث الذين أرسلهم المصلح الكبير محمد على باشا الى بلاد الغرب لينهلوا من موارد العلم العذبة — تاريخ أدب اللغة على النحو الآتى — وضعوه على مثال ما نسج الغربيون فى آداب لغاتهم ورسموه على سنن أبحاثهم وطرائق أساليبهم فجاء طريفا فى نهج البحث والترتيب تليدا فى المادة والتفكير ، فمادته فى تضاعيف كتب الآداب متفرقة فى ثنايا أسفارها لا يعوزها إلا حسن الوضع وجيد الرصف

تاريخ أدب اللغة

هو العلم الباحث عن ثمرات قرائح الغابرين من نثير ونظيم ، وبيان ما اعتراهما من رفعة وضعة وسعد ونحس فى مختلف الاوقات ، وذكر ما كان للافذاذ من أرباب اللسن والبيان من الآثار فى رقيهما ونباهة شأنهما حتى وصل ذلك التراث بين أيدينا وحفظه السلف للخلف

فائدته

إن الباحث فى هذا العلم ليتذوق أساليب اللغة وفنون الادب المختلفة فى متباين العصور حتى ليمكنه أن يحكم صائب الاحكام بنسبة كل كلام للعصر الذى قيل فيه بل لقد تبلغ به خبرته أن يعزو القول لقائله ، الى أنه يسترشد بما فى التاريخ من عبر ومواعظ ويعرف الاسباب التى ساعدت على

ارتقاء اللغة والعوامل التى أدت الى تدهورها ، وهناك يكون له من ماضى عزيمته وقوى إرادته ما يجعله يتحامى الثانية ويعد العُدّة للوصول الى الأولى، كما أنه يحتذى حذو من أحسن الى اللغة وأكسبها ثروة جديدة بطرائق أخيلته فى نثره أو نظمه ويتباعد عن تقليد من أساء اليها بضعيف أسلوبه وسفساف كلامه

عصور اللغة

ان للانقلابات السياسية والدينية والاجتماعية أجل الآثار وأكبر الخطَار فى نهوض اللغة أو تدهورها او ارتفاعها أو انحطاطها بما يعرض لاربابها من تغير فى الافكار واختلاف فى الاخيلة والمشاعر على حسب الاطوار التى صاروا اليها — فلا عجب انْ تمايزت عصور اللغة بتمايز تلك الاحوال حتى لقد يرى الناظر فى آدابها فواصل ظاهرة وصورا مختلفة للغة بتباين العصور ومن ثم قسم علماء الآداب هذه العصور الى خمسة لما بينها من فوارق صبغت كل عصر بصبغة خاصة ، ومن البدهى ان هذا التحديد لا يدل على ان حال اللغة تتغير فُجاءة عند هذه الانقلابات بل المشاهد ان التغير يستتبعها ويجىء وشيكا تاليا لها ويكون مظهرا من مظاهرها

وهذه العصور خمسة

(١) عصر الجاهلية وهو مجهول المبتدإ معروف المنتهى وقد قدروه على حسب ما وصل الينا من آثار أهله بنحو مائة وخمسين سنة

(٢) عصر صدر الاسلام وبنى أمية ، ومبتدؤه ظهور الدين الاسلامى

وقيام ذلك الداعى العظيم بدعوته الدينية التى غيرت أفكار العرب وأقامت صرح مدنيـة جديدة دكت ماقبلها من تلك الصروح العظيمة التى كانت مشهورة فى ذلك العصر وينتهى بسقوط الدولة الاموية وقيام دولة آل العباس سنة ١٣٢ هـ

(٣) العصر الذهبي عصر بنى العباس ويبتدئ بقيام هذه الدولة وينتهى بتلك الـكارثة كارثة سقوط بغداد على أيدى التتار سنة ٦٥٦ هـ

(٤) عصر التدهور والانحطاط للغـة وآدابها ، عصر الدول التركيـة المتتابعة ، ويبتدئ بسقوط بغـداد وينتهى بتلك النهضة المباركة عهد محمد على باشا سنة ١٢٢٠ هـ

(٥) عصر النهضة الحاضرة ومبدؤه من حكم الاسرة المحمدية العلوية بمصر ويسير مع زماننا الحاضر

اللغة العربية فى الجاهلية

اللغة العربية كغيرها من اللغات أداة للتفاهم ووسيلة الى التعبير عما فى النفس ليسهل التعاون بين الناس

وقد كانت الامة العربية فى العهد الجاهلى أمة بدوية وقبائل رحلا ليس لديها من وسائل العمران مايجعلها ذات حضارة راقية ولا صناعة نافقة فكانت أغراض اللغة لا تعدو مرافق تلك الحياة البدوية ولا تتناول الا التعبير عن المشاحنات والمنـازعات والمفاخرات (١) والمنافرات (٢) ومدح الـكرم والجود والدفاع عن الحمى والحريم ووصف مظاهر الطبيعة والاخبـار عن

---

(١) بحسب الآباء والاجداد (٢) التحكيم بأن أى فريق أعز نفرا

وقائعهم والتحدث بأيامهم وحسن بلائهم وكل ذلك بلا إغراق ولا مبالغة ولا تأنق فى التعبير ولا تكلف لألوان الاستعارات (١) ولا استعمال لأنواع البديع (٢)

ما أثر من كلام العرب أما أن يكون مطلقا عن قيود الوزن والقافية (٣) وهو مايسمى بالمنثور — واما أن يلبس ثوب الوزن والقافية وهو مايدعى بالشعر أو بالنظم

وبدهى أن النثر نشأ حين نشأت اللغة فهو الذى يجىء عفوا لا تكلف فيه بل ترسله النفس على سجيتها

وأول ما كان منه هو المرسل الخالى من التزام التقفية فى أواخر عباراته ثم جاء تاليا له المسجوع وهو الذى يلتزم فى كل فقرتين أو فقر منه حرف يكون نهاية للكلمة - وفى المسجوع نوع من الحلية اللفظية اذا جاء عفوا دون تكلف ولا تعمل ، ولما له من التأثير والاخذ بمجامع القلوب كثر استعماله فيما يراد به الترغيب أو الترهيب كتخرصات (٤) الكهان والحكم والتفاخر والتنافر

فمن سجع بعض الكاهنات تنذر بحرب شعواء

والليل الغاسق (٥) واللوح (٦) الخافق ، والصباح الشارق ، والنجم الطارق (٧) إن شجر الوادى ليأدوا (٨) خَتْلا (٩) ، ويحرق أنيابا عُصْلا (١٠)

---

(١) استعمال الكلمات فى غير معانيها الاصلية لمشابهة بين الثانى والأول (٢) كاستعمال اللفظ وضده نحو يضحك ويبكى (٣) آخر كلمة فى بيت الشعر والحرف الاخير فى السجع (٤) افتراءات (٥) الشديد الظلمة (٦) الهواء بين السماء والارض (٧) الذى يطرق ويطلع ليلا (٧) يخدع (٩) خداعا (١٠) يحرق يحك بعضها فى بعض والعصل المعوجة وفى المثل هو يحرق الارم أى الاسنان يضرب مثلا للغضوب

وإن صخر الطود [١] لينذر ثُكلا [٢] ، لاتجدون عنه مَعْلا [٣]

ولكن أين هذا من قول أعرابى يصف خيلا لبنى يَرْبوع

خرجت علينا من مستطير نقع [٤]، كأن هو اديها [٥] أعلام ، وآذانها أقلام ، وفرسانها أسود آجام [٦]

ومن النثر المرسل قول زيد بن جبَلة لامير المؤمنين عمر بن الخطاب حين وفد عليه يا أمير المؤمنين ، سوّد الشريف ، وأكرم الحسيب ،وازرع عندنا من أياديك [٧] مانسدّ به الخصاصة [٨] ، ونطرد به الفاقة [٩] ، فانا بقُفٍّ [١٠] من الارض يابس الاكناف [١١] مقشعِرّ الذروة [١٢] لا شجر فيه ولا زرع ، وانا من العرب اليوم اذ أتيناك بمرأى ومَسْمَع [١٣]

وقد نهج العرب فى منثور كلامهم مختلف المناهج فمن موجز قليل اللفظ كثير المعنى أصيب به مواقع الصواب وكان فصل الخطاب ، الى مسهَب [١٤] تختلف مبانيه وتتحد معانيه ، الى وسط بين ذلك

وان الناظر ليرى على الجملة مميزات للنثر الجاهلى فى ألفاظه وأساليبه من أظهرها

(١) إرسال الكلام على السجية دون تكلف ولا نظر الى الصناعات

---

(١) الجبل (٢) فقدان المرأة ولدها (٣) منجى ومفرا (٤) المستطير الساطع المنتشر والنقع المستنقع المجتمع (٥) جمع هاد مقدم الفرس (٦) جمع أجمة الشجر الكثير الملتف

(٧) نعمك (٨) الحاجة (٩) الفقر (١٠) المرتفع من الارض (١١) الجوانب (١٢) المكان المرتفع والمقشعر الذى لايصيب ريا (١٣) بحيث ترانا وتسمعنا (١٤) مطول

اللفظية ومن ثم لاترى جناسا [١] ولا طباقا [٢] إلا ما أثر من سجع الكهان والعرافين [٣]

(٢) غلبة الايجاز وبه يتفاضل بلغاؤهم ألا ترى الى قول سيد الفصحاء (أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا)

(٣) استعمال الجمل القصيرة لاسيما فى الحكم والامثال والوصايا

(٤) كثيرا مايلجئون الى الكنايات التى يسهل فهمها ويقرب تناولها بعدا عن التصريح بما يستهجن ذكره او حثا للقرائح على تفهم الحقائق من طرف خفى

وللنثر مواطن هى به أضبث [٤] وهو بها أكلف [٥] ولذا كثر استعماله فيها دون الشعر ومن أشهرها الخطب والوصايا والحكم والامثال

(١) فالخطبة طائفة من مختار الكلام تلقى فى الأندية والمجتمعات لغرض هام وشأن ذى بال

وقد دعاهم اليها مافى طبيعتهم من الامية وتفرقهم قبائل وعشائر مع تعذر سبل التواصل المنتظمة وشن الغارات لأوهى الاسباب والتحريض على القتال للأخذ بالثار وحبهم للتفاخر والتنافر وحثهم على الفضائل وتنفيرهم من الرذائل الى نحو من هذا مما شملته خطبهم وأثر من كلامهم

ومن أشهر خطبائهم ذو الاصبَع العَدوانى وكعب بن لُؤَى وقُسّ ابن ساعدة الايادى وأكثم بن صيفى وعمرو بن معديكرب الزُبَيدى

---

(١) اتفاق اللفظين مع اختلاف معناهما (٢) ذكر المعنى وضده (٣) الكهانة الاخبار عن المستقبل والعرافة الاخبار عن الماضى (٤) أحق (٥) كلف بكذا هام به وأحبه

خطبة المأمون الحارثى فى نادى قومه

قعد المأمون الحارثى فى نادى قومه فنظر الى السماء والنجوم ثم أفكر طويلا ثم قال

أرعونى أسماعكم ، وأصغوا الىّ قلوبكم ، يبلغ الوعظ منكم حيث أريد طمَح [١] بالاهواء الاشَر [٢] وران [٣] على القلوب الكدر ، وطخطخ [٤] الجهل النظر ، إن فيما ترى لمعتبرا لمن اعتبر ، أرض موضوعة ، وسماء مرفوعة ، وشمس تطلع وتغرب ، ونجوم تسرى فتعزُب ، [٥] وقمر تطلعه النحور [٦] ، وتمحقه [٧] أدبار الشهور ، وعاجز مثر ، وحوّل [٨] مُكْد [٩] وشاب مختضر [١٠] ، ويَفَن [١١] قد غبَر [١٢] ، وراحلون لايئوبون ، وموقوفون لايفرّطون [١٣] ، ومطر يرسل بقدر فيحيي البشر ويورق الشجر ، ويطلع الثمر ، وينبت الزهَر ، وماء يتفجر من الصخر الايَرّ [١٤] فيصدع [١٥] المدر [١٦] ، عن أفنان [١٧] الخضر ، فيحيي الانام ، ويشبع السوَام [١٨] وينمى الانعام ، ان فى ذلك لأوضح الدلائل ، على المدبر المقدر ، البارئ المصور ،

(٢) والوصية هى جملة من القول يلقيها الأب على بنيه أو سيد القبيلة على عشيرته ؛ وأكثر ماتكون من الرجل اذا حان حَينه وأشرف على الهلاك .

---

(١) ارتفع (٢) البطر والكبر (٣) غلب (٤) أظلم (٥) تختفى (٦) جمع نحر أول الشهر (٧) جمع دبر آخر الشهر (٨) الشديد الاحتيال (٩) لا يظفر بحاجته (١٠) يموت حدثا صغيرا (١١) الشيخ الهرم (١٢) بقى (١٣) يقدمون (١٤) الصلب الاصم (١٥) يشق (١٦) الطين اليابس (١٧) الاغصان المستقيمة (١٨) الابل الراعية

وصية أكثم بن صيفى التميمى

قال أكثم يوصى قومه بنى تميم

يابنى تميم لايفوتنّكم وعظى ، ان فاتكم الدهر بنفسى ، ان بين حَيزومى (١) وصدرى لكلاما لا أجد له مواقع الا أسماعكم ، ولا مقارّ الاقلوبكم ، فتلقَوه باسماع مصغية وقلوب واعية تحمدوا مغبّته (٢)

لن يعدم المشاور مرشدا ، والمستبد برأيه موقوف على مداحض (٣) الزلل ، ومن سمع سُمع (٤) به ، ومصارع (٥) الرجال تحت بروق الطمع ، ومن سلك الجَدَد (٦) أمن العِثار (٧) ، ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ، ويَشغل فكره ، ولا تجاوز مضرته نفسه ، ومن جعل عرضه دون ماله استهدَف (٨) للذم ، وكلم اللسان (٩) أنكى (١٠) من كلم السنان (١٠) ، والكلم مرهونة مالم تنجُم (١١) من الفم فاذا نجمت فهى أسد مِحْرب (١٢) أو نار تلهب

(٣) والحكمة قول موجز يصدقه العقل وتؤيده التجربة

وللعرب الحكم الرائعة والحجج البالغة والأقوال الصائبة

ومن أشهر حكمائهم أكثم بن صيفى وحاجب بن زُرارة وعامر بن الظرب وهاشم بن عبد مناف والعاص بن وائل

---

(١) موضع الحزام (٢) العاقبة (٣) جمع مدحضة موضع الزلل (٤) اى من سمع الوشاية وشى به (٥) جمع مصرع موضع الصرع والهلاك (٦) الارض المستوية (٧) السقوط وهو مثل يضرب فى طلب العافية (٨) صار هدفا يرمى بالاقاويل (٩) الجرح (١٠) أشد نكاية وجرحا (١١) نصل الرمح (١٢) نخرج (١٣) شديد الحرب

ومن بديع حكمهم قول أعرابى لا يوجد العَجول محمودا ، ولا الغضوب مسرورا ، ولا المَلول ذا إخوان ، ولا الحر حريصا ولا الشره غنيا

وقول آخر ، صن عقلك بالحلم ، ومُروءتك بالعفاف ، ونجدتك بمجانبة الخيلاء (١) ، وخَلّتك (٢) بالاجمال (٣) فى الطلب

وقول ثالث أقبح أعمال المقتدرين الانتقام ، وما استُنبط (٤) الصواب بمثل المشاورة ، ولا حصّنت النعم بمثل المواساة (٥) ، ولا اكتُسبت البغضاء بمثل الكبر

(٤) والمثل قول سائر يشبّه به حال لاحقة بحال سابقة لما بينهما من عظيم الوفاق وكبير المشابهة

وله من لطف المدخَل وإصابة الغرض وحسن التشبيه وجمال الموقع ما يجعل النفوس ترتاح لسماعه وتهش لقبوله ، ومن ثم جعلت الأمثال ميزان أخلاق الامم وعلامة رقيها أو انحطاطها ، وجدها أو هزلها ، ونشاطها أو كسلها

ولقد أكثرت منها العرب وطرقت بها كل فج من فجاج الحياة ، ومن ذلك قولهم :

المثل	مضربه
من استرعى الذئب ظَلم (٦)	لمن يسند الامر الى من لا يوثق به
الرائد لا يكذِب أهله (٧)	للنصيح غير المتهم فى نصحه
لو ذاتُ سِوار لطمتنى (٨)	للذليل يتطاول على العزيز

(١) الكبر (٢) الحاجة (٣) الرفق واللين (٤) أظهر (٥) المعونة والمساعدة (٦) اى ظلم الذئب لانه كلفه ماليس من خيمه وطبعه (٧) الرائد الذى يتقدم القوم لطلب الماء والكلا فأن كذبهم أفسد عليهم أمرهم (٨) يراد بذات السوار الحرة الشريفة

المثل	مضربه
ضرب أخماسا لاسداس (١)	لمن يظهر شيئاً ويريد غيره
سبق السيفُ العذل (٢)	لاستحالة تدارك ما فات
رضيتُ من الغنيمة بالاياب (٣)	لمن يقنع بالسلامة دون أن يحظى بمراده

الشعر أو النظم

يرى الكثير من علماء الادب أن الشعر هو الموزون المقفّى الذى يجمع من سمو الخيال وشريف العاطفة ما به يملك زمام القلوب النافرة ويجذب النفوس الجامحة ، لما فيه من المعانى الفخمة والالفاظ المختارة والتأنق فى صوغ التراكيب والافتنان فى حسن الصنعة فيثير الوجدان والشعور بالترغيب أو بالترهيب لا بالاقناع النظرى والبرهان العقلى ، ومن ثم يكون حسنا جميلا فى تصوير أحوال النفس وإثارة العاطفة لا فى التعبير عن الحقائق والآراء الاجتماعية والافكار الفلسفية

ويرى آخرون أنه الموزون المقفى فقط فيشمل مالا أثر للصنعة فيه مما نظم فى مختلف الفنون والعلوم نحو

كلامنا لفظ مفيد كاستقم واسم وفعل ثم حرفٌ الكلم

دواعى الشعر

العربى بفطرته دقيق الشعور واسع الخيال أورثته ذلك طبيعة أرضه

---

(١) ضرب أظهر وبين أى أظهر أخماسا ليتوصل الى أسداس وأصله أن الرجل اذا أراد سفرا بعيدا عود إبله أن تشرب كل خمسة أيام ثم كل ستة حتى اذا أخذ فى السير صبرت عن الماء (٢) العذل اللوم (٣) الاياب الرجوع

وملاءمة بيئته وما نشأ عليه من الحرية والاستقلال وإباء الذلة والخضوع لحاكم قاهر أوسلطان غاشم ، وقد وجد فى رُقْعة من الارض صحيحة الهواء وسماء صافية الاديم فظهرت لحسه مناظر الوجود بأتم مظاهرها

كيف برأ الشعر

يشهد الحس ويؤيده العقل أن العرب لم تقل الشعر دفعة واحدة بل بدأت تهذب النثر وتقسمه الى فِقر ذات فواصل حتى اذا تم لها وجود سجعتين متوازنتين وأعجبها ذلك سمته بالرجز وتغنت به حُداء للابل وتعدادا للمكارم

ولما نمت فيها ملكة الشعر واتسعت أغراضه نوعت الاوزان وقصّدت القصيد فقد روى الرواة أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر الا البيت والبيتان يقولهما الرجل اذا حزبه الأمر أو عنت له حاجة ، وأن أول من أطال القصيد مُهلْهل بن ربيعة التغلَبى وتبعه مَن بعده كالحرث بن عُبَاد والفِنْد الزِمانى وامرئ القيس وطَرَفه وأشباههم

ألفاظ الشعر وأساليبه

شعر العربى أثر من آثار نفسه فلا يقول الا مايعلم ولا يصف الا ما يشاهد مع حسن المناسبة بين اللفظ والمعنى فتراه فى وصف السيوف والرماح وذكر الطعن والضرب شديد الأسْر (١) عظيم المُنَّة (٢) ، وفى الغزل يكاد يسيل رقة ، الى أنه قوى فى أسلوبه متين فى حَوْكه (٣) ونسجه فلن تجد فى كلامه حشوا ولا لغوا ولا ضعيفا ولا سفسافا ركيكا ، الى أنه

---

(١) القوة فى الخلق بفتح الخاء (٢) القوة (٣) النسج

يسير على سنة الفطرة ومقتضى السجية فلا تشاهد كلفة ولا تعملا [١] فقل أن ترى جناسا ولا طباقا ولا نحوهما ،

ومع كل هذا فانك تجد فى ألفاظه خشونة البداوة وعُنْجُهِيَّة [٢] الجاهلية وفى أساليبه فخامة وضخامة

أغراضه الشعر وفنونه

قال العرب الشعر فى كل ماخطر على بالهم وأدركته حواسهم وناسب بيئتهم من وصف للاطلال والديار والتحدث بكرم الاصل والنِجَار [٣] والمدح برجاحة العقل والبسالة والشجاعة والتنويه بمناقب الموتى واستعظام المصيبة فيهم وتعداد المثالب والمعايب والاعتذار ونحو ذلك ، وعلى الجملة فاشهر أبواب الشعر عندهم النسيب والفخر والحماسة والمدح والهجاء والاعتذار والوصف والحكمة ، وهاك مُثُلا من الشعر فى هذه الاغراض

(١) النسيب

وهو وصف ماللنساء من محاسن وشرح أحوالهن ، ووصف الاطلال والديار والشوق الى الاحباب بذكر المنازل التى نزلنها والرياض التى حللنها كما قالت وجيهة بنت أوس الضبعية فى الحنين الى الوطن

وعاذله تغدو علىّ تلومنى ... على الشوق لم تمح الصبابة من قلبى
فمالى أن أحببت أرض عشيرتى ... وأبغضت طرفاء القُصيبة من ذنب [٤]
فلو أن ريحا بلّغت وحى مرسل ... حفى لناجيت الجنوب على النقب [٥]

---

(١) تكلف العمل (٢) الجفوة والخشونة (٣) الاصل (٤) الطرفاء شجر والقصيبة موضع (٥) الوحى الرسالة والحفى المكرم والجنوب ريح والنقب الطريق فى الجبل

فقلت لهـا أدى اليهم رسالتى ولا تخلطيها (طال سعدك) بالتُرْب
فانى إذا هبت شمَـالا سألتها هل ازداد صداح النُمَيْرة من قرب (١)

(٢) الحماسة

وهى ذكر الحروب ومقاتلة الاعـداء والتحدث بحسن البلاء كما قال عمرو بن الاطنابة الخزرجى

إنى من القوم الذين اذا انتـدَوا بدءوا بحق الله ثم النائل (٢)
الضاربين الـكبش يبرق بيضه ضرب المهجهَج عن حياض الآبل (٣)
والقاتلين لدى الوغى أقرانَهم إن المنية من وراء الوائل (٤)
والقائلون فلا يعاب كلامهم يوم المقامة بالقضاء الفاصـل (٥)
خُزْر عيونهمُ الى أعدائهم يمشون مشى الاسْدتحت الوابل (٦)

(٣) المديح

وهو الثناء على ذى محمدة بما يستحق من صفات النُبل وأنواع المكارم كما قال دُريد بن الصِمة

تراه خميص البطن والزاد حاضر عتيد ويغدو فى القميص المقدّد (٧)
وان مسه الاقواء والجَهْد زاده سماحا وإتلافا لمـا كان فى اليـد (٨)

---

(١) الصدح الصوت والنميرة موضع (٢) انتدوا اجتمعوا فى النادى والنائل العطاء (٣) الـكبش القائد والبيض الحديد والمهجهج الطريد من الابل لجرب ونحوه والآبل صاحب الابل كلابن وتامر (٤) الوائل الهارب طلبا للنجاة (٥) المقامة المجلس يريد أنهم أمراء الـكلام الفاصلون بين الحق والباطل (٦) الخزر النظر بلحظ العين والوابل المطر الشديد (٧) خميص البطن ضامره والعتيد المهيأ والمقدد المجزق (٨) الاقواء الفقر

قصير الازار خارجٌ نصف ساقه صبور على العزّاء طلاع أنجـد[١]
قليـل التشكى للمصيبات حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث فى غد[٢]

(٤) الفخر

وهو مباهاة الانسان بما له من جميـل الشيم وشريف الخلال وكرم الاصل والنجار ورفعة الحسب ووفرة العدد كما قال عمرو بن كلثوم فى معلقته

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حـين نبطش قادرينا[٣]
بغاة ظالمـين وما ظُلمنـا ولـكنا سنبدأ ظالمينا
ملأنا البر حتى ضاق عنـا وماءُ البحر نملؤه سفيـنا[٤]
اذا بلغ الرضيع لنـا فطاما تَخرُّ له الجبابر ساجدينا[٥]

(٥) الاعتذار

وهو التنصل من الذنب والاحتجاج على البراءة منـه كما قال بعض بنى الحرث بن كعب فى الاعتذار عن الجزع عند حلول المصاب

لعمرك ماصبر الفتى فى أموره بحتم اذا ما الأمر جل عن الصبر[٦]
فقد يجزع المرء الجليـد وتَبتلى عزيمةَ رأى المرء نائبـةُ الدهر[٧]
تعاوَرُه الايام فيما ينوبه فيقوى على أمر ويضعف عن أمر[٨]

---

(١) قصير الازار أى مستعد لاجابة الداعى عند الشدائد وطلاع الانجد كناية عن الجـد للوصول الى عظائم الامور والنجد ما ارتفع من الأرض (٢) لايألم من المصائب ويعمل ما يريد ان يتحدث به عنه الناس غدا (٣) البطش الاخـذ بالعنف والشدة (٤) السفين جمع سفينة (٥) جبابر جمع جبار وهو العاتى المتمرد (٦) جل عظم (٧) الجليـد القوى وتبتلى تختبر والنائبـة المصيبة (٨) تتعاور تتـداول وتنزل به

وعيّرتمونا أنْ جزِعنا ولم نكن لنجزع لو أنا قدرنا على الصبر
صبرنا فلما لم نر الصبر نافعا جزِعنا وكان الله أملك بالعذر (١)

(٦) الرثاء

وهو تعداد مناقب الميت والتفجع عليه كما قالت الفارعة بنت شدّاد ترثي أخاها مسعودا :

ياعينُ بكّي لمسعود بن شدّاد بكاء ذي عبرات شجوه بادي (٢)
قوّال محكمة نقّاض مُبْرمَة فتّاح مُبْهمة حبّاس أوراد (٣)
حمّال ألوية شهّاد أندية سدّاد أوهية فتّاح أسداد (٤)
جماع كل خصال الخير لو علموا زين القرين ونِكل الظالم العادي (٥)
أبا زُرارة لا تبعَد فكل فتى يوما رهين صفيحات وأعواد (٦)
هو الفتى يحمد الجيران مشهده يوم الشتاء وقد هموا باخماد (٧)

(٧) الهجاء

وهو تعداد المعايب وخصال السوء والتعرض للؤم المحْتِد ونحو ذلك كما قال بعض الشعراء يهجو بني سعد

كاثر بسَعْد إنّ سعداً كثيرة ولا تبْغ من سعد وفاءً ولا نصراً (٨)
ولا تدعُ سعداً للقِراع وخَلّها اذا أمِنتْ ونعتها البلدَ القفْرا (٩)
يروعك من سعدِ بنِ عمرو جسومُها وتزهد فيها حين تقتُلها خُبرا (١٠)

---

(١) أملك أقبل (٢) الشجو الحزن (٣) اوراد جمع ورد القوم يردون الماء (٤) الاوهية جمع وهي وهو الشق (٥) نكل الظالم المتغلب عليه (٦) الصفائح حجارة القبر جمع صفيحة (٧) أي اخماد النيران وقت القحط زمن الشتاء (٨) فاخر بكثرة عددهم ولا تطلب وفاءهم ولا نصرتهم (٩) القراع المحاربة أي هم يصلحون لقول الشعر لا للحرب (١٠) يروعك يعجبك والخبر الاختبار

(٨) الوصف

وهو بيان حال الشيء وشرح حقيقته للسامع حتى كأنه يراه وينظر اليه كما قال بعض بنى الحارث يصف الشمس من طلوعها الى مغيبها

مخبّأة أما اذا الليل جنها فتخفى وأما بالنهار فتظهر (١)
اذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلى دجى الليل وانجاب الحجاب المستّر (٢)
وألبس عُرض الارض لونا كأنه على الافق الشرقى ثوب معصفر (٣)
ترى الظل يُطوى حين تبدو وتارة تراه اذا زالت عن الارض تنشر (٤)
كما بدأت اذ أشرقت فى مغيبها تعود كما عاد الكبير المعمَّر
فأفنت قرونا وهى تلك ولم تزل تموت وتحيا كل يوم وتنشر

(٩) الحكمة والادب

قال عدى بن زيد سفير المناذرة الى الاكاسرة

اذا أنت طالبت الرجال نوالهم فعِف ولا تطلب بجَهد فتُنكد
عسى سائل ذو حاجة ان منحته من اليوم سؤلا أن يسرك فى غد
اذا مارأيت الشر يبعث أهله وقام جُناة الشر بالشر فاقعد
عن المرء لاتسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

نشأة الكتابة الخطية فى بلاد العرب

الكتابة أشكال ورسوم تدل على الكلمات المسموعة الدالة على مافى النفس من المعانى ، ولولاها ماوصلت الينا علوم الأوائل ولا معارفهم ولا

---

(١) جنها سترها (٢) الدجى جمع دجية وهى الظلمة وانجاب انجلى والمستر الساتر
(٣) العرض الناحية والمعصفر المصبوغ بالعصفر وهو نبت أصفر

أخبارهم ولاأشعارهم ، فهى رسول السلف الى الخلف وسفير الماضى للحاضر

وهى من الصناعات التى لا تتوافر الا لأرباب الحضارة والعُمران ، ومن ثم كانت بالغة غاية الاتقان والجودة فى دولة التبابعة ملوك اليمن ، اذ كانت قد وصلت درجة عظيمة من الترف والنعيم

كيف وصلت الكتابة الى بلادالعرب -- العرب أمة أمية كماوصفهم الله تعالى فى كتابه (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) ولم يهتد المؤرخون الى الزمن الذى بدئ فيه باستعمال الخط العربى ، لكن يرى رواة العرب أن الخط نقل اليهم من أهل الحِيرة [١] وهم أمة قديمة الحضارة والمدنية ، وأولئك أخذوه عن اليمنيين وكانوا أسبق منهم حضارة ، وهؤلاء أخذوه عن الفينيقيين [٢] والفينيقيون تلقوه عن المصريين وهم أقدم من عرف من الامم بالكتابة والخط والنقوش .

ولما جاء الاسلام انتشرت الكتابة الخطية للحاجة اليها فى كتابة الوحى والرسائل الى الملوك والامراء مدة حياته عليه السلام ثم ازدادت انتشارا أيام الخلفاء الراشدين

وبعد اتساع رقعة الدولة الاسلامية بما فتح الله على المسلمين من البلدان، وتدوين الدواوين ونقلها من الفارسية والرومية والقبطية الى العربية — شاع استعمال الكتابة العربية فى تلك الاصقاع ، وكان المستعمل اذذاك نوعين

---

(١) مدينة كانت بالقرب من الكوفة بالعراق (٢) سكان بلاد كنعان على شاطىء البحر الابيض حذاء لبنان

من الخط أحدهما ما يسمى بالخط الجزم[١] الذى سمى فيما بعد بالخط الكوفى وكان يستعمل فى كتابة المصاحف ونحوها ، وثانيهما النسخ وكان يستعمل فى كتابة الرسائل وما شاكلها

وحين قامت الدوله العباسية جد الكتاب فى تحسينه وما زالوا دائبين فى تجويده حتى جاء ابن مقلة إمام هذا الفن فتمت على يديه هندمة الخط وأبدع فيه أيما ابداع ثم صار حاله يتردد بين سعد ونحس حتى وصل الى كتاب الترك فتفننوا فيه وجودوه وحولوه الى ما نعرف الآن

اللغة فى العهد الاسلامى الى سقوط دولة بنى امية

أسس النبي الكريم ملكا كبيرا اتفقت به كلمة العرب وتهذبت طباعهم ففتحوا ملك الاكاسرة والقياصرة

وكان من أثر ذلك أن توحدت اللغات العربية واندمجت فى اللغة القرشية لنزول القرآن الكريم بها ، ولان الخلفاء والامراء ورجالات الدولة وأرباب الحل والعقد كانوا ممن يتكلمون بها ، وانتشرت فيما أفاء الله عليهم من البلدان التى فتحوها واتسعت أغراضها وسلكت مسلكا يناسب حال ذلك الملك العظيم ويشاكل عيشة الترف والنعيم ، واتسعت المعانى بكثرة ماشاهدوا ورأوا وارتقت الافكار وسمت بما اقتبسوا من حضارة فارس والروم ، وتهذبت الالفاظ وجانب أهلها الحوشى الذى يمجه الذوق وينبو عنه السمع اقتداء بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، وظهرت بعض الفاظ جديدة عربت من اللغات الأخرى ، كما هجرت بعض ألفاظ أخرى

---

(١) أى القطع فهو قد اقتطع من خط حمير المعروف بالخط المسند

كانت تدل على أشياء او عادات جاء الدين ينهى عنها كالدعاء للأوثان والاصنام وعم صباحا وعم ظلاما واستحدثت معان جديدة لبعض الألفاظ كالصلاة والحج والزكاة وماشا كلها

القرآن الكريم

لاسبيل لوصف القرآن أجل مماوصف به القرآن نفسه (كتاب أحكمت آياتُه ثم فصّلت من لدن حكيم خبير)

فهو المعجزة الخالدة على وجه الدهر والحجة الدامغة على المنكر على مدى الأيام ، أنزله الله على رسوله ليبلغه للعرب أولا وهم بعد أمراء الكلام وذوو الذرابة والبيان وأرباب الأَنَفَة والحمية وتحداهم أن يأتوا بمثله فغشيتهم من الذهول غاشية زاغت معها أبصارهم وتقلصت منها شفاههم وأقعدهم العجز وأمات عزائمهم اليأس وخارت قواهم فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله فسجل ذلك عليهم بقوله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً)

ذلك لما رأوا فيه من قضايا صادقة بعيدة من التناقض قريبة من التناول على غير مثال سبق بتشبيهات رائعة وأساليب ناصعة ليس فيها وحشى ولا مبتذل

وقد اشتمل على عقائدوفرائض وأوامر ونواه وانذار وتبشيروجدل وقصص وتشريع اجتماعى وسياسى ومدنى وجنائى ومواعظ وإرشادات وحكم وأمثال الى غير ذلك من شرائع راقية وآداب عالية ، فكان له الاثر الجليل فى حياة العرب عامة إذ حوّل عاداتهم وغير طباعهم وانشأ أمة جديدة

لها من علو النفس وصفاء الطبع ورقة الجانب ورجاحة العقل واستقلال الرأى وحرية الفكر فى عهد يسير مالم يتسن مثله لأمة أخرى وأقام صرح دولة لم يشهد لها التاريخ مثيلا فيما غبر ولا فيما لحق فى هذا الزمن القصير وهاك غيضا من فيض مما اشتمل عليه الكتاب الكريم من الموضوعات السالفة الذكر

فى العقائد

قل هو الله أحد ، الله الصمد[1] ، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد

فى الفرائض

يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه[2] فدية طعام مسكين ، فمن تطوّع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان

فى الاوامر

ان الله يأمر بالعدل والاحسان . اعدلوا هو أقرب للتقوى . واذا حكمتم بين الناس فاحكموا بالعدل .

فى النواهى

ولا تقفُ (٣) ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك

---

(١) الصمد الذى يقصد لقضاء الحوائج (٢) يفعلونه مع الجهد والمشقة (٣) لا تتتبع

كان عنه مسئولا ، ولا تمش فى الارض مرَحا (١) إنك لن تخرِق الارض ولن تبلغ الجبال طولا

فى الانذار

ويل لكل هُمَزة (٢) لمزة (٣)، الذى جمع مالا وعدده ، يحسب أن ماله أخلده (٤)، كلا لينبذنَّ (٥) فى الُحطمة ، وما أدراك ما الحطمة ، نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة ، إنها عليهم مؤصدة (٦) ، فى عمد ممدَّدَةٍ

فى البشارة

متكئين فيها على الأرائك لا يَرَوْن فيها شمسا ولا زمهريرا (٧) ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ، ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا (٨) قوارير من فضة قدروها تقديرا

فى الجدل

لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ـ أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمّن يمشى سوياً على صراط مستقيم ـ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذبابُ شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب

فى القصص

إذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس

---

(١) اختيالا (٢) كثير الهمز والعيب (٣) كثير الطعن (٤) جعله خالدا فى الدنيا (٥) يطرحن (٦) مطبقة (٧) شدة البرد (٨) زجاجات

والقمر رأيتهم لى ساجدين، قال يا بُنَىَّ لا تقصُص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطانَ للانسان عدو مبينٌ، وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاقَ ان ربك عليم حكيم

فى التشريع الاجتماعى

وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ـ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ـ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتُدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون

فى التشريع السياسى

الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون، فاما تثقفنهم فى الحرب فشرّد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون، وإما تخافن من قوم خيانة فانبِذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين

فى التشريع المدنى

يا أيها الذين آمنوا أوْفوا بالعُقُودِ ـ والذين هم لأماناتهم وعَهْدِهم رَاعُون

فى التشريع الجنائى

والسارقُ والسارقة فاقطَعُوا أيديهُما جزاءً بما كسبا نَكالاً من الله ـ الزانيةُ والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدةٍ ولا تأخذكم بهما رأفة فى

دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين .

فى الوعظ والارشاد

كبُر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ـ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

فى الامثال

مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون

العناية بجمع القرآن وكتابته وقراءته

نزل القرآن منجما فى بضع وعشرين سنة على حسب الاحوال فربما نزلت الآية المفردة وربما نزلت آيات عدة بحسب الحاجة ، وليكون ذلك أبلغ فى الحجة على المعاندين فلا يكون لهم العذر بأنهم قوم أميون لا يقرءون ولا يتدارسون فيصعب عليهم أن يأتوا بمثله جملة .

وكان رسول الله يأمر كتاب وحيه بكتابة ما ينزل عليه ويرشدهم الى موضع الآية من السورة التى ينبغى أن تكون فيها ، وقد قبض رسول الله والقرآن كله مكتوب وفى الصدور محفوظ وان اختلفوا فى ترتيب سوره ـ حتى اذا كانت واقعة اليمامة (١) فى عهد ابى بكر واستحرّ (٢) القتل فى القُراء فقتل منهم سبعون أو سبعمائة . هال ذلك عمر بن الخطاب فدخل

---

(١) وقعة قوتل فيها المرتدون عن الدين من العرب (٢) اشتد

على ابى بكر وقال له ان أصحاب رسول الله يتهافتون تهافت الفراش (١) فى النار وهم حملة القرآن فأخشى أن يضيع القرآن وينسى ولو جمعته وكتبته

وبعد لأى (٢) اتفقا على جمع القرآن وكتابته وعهدا بذلك الى زيد بن ثابت لانه من كتبة الوحى وممن شهد العرضة الاخيرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعه من العُسُب (٣) واللخاف (٤) والاكتاف (٥) وكتبه صحفا حفظت لدى ابى بكر مدى حياته ثم صارت الى عمر حتى مات ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر صدرا من خلافة عثمان

ولما كثرت الفتوح فى خلافة عثمان وانتشر القراء فى الامصار وأخذ كل مصر عن رجل من أصحاب رسول الله فأهل دمشق وحمص عن المقداد بن الاسود وأهل الكوفة عن ابن مسعود وأهل البصرة عن أبى موسى الاشعرى — اختلفت القراءات التى يؤدون بها القرآن لاختلاف لغاتهم وأدى ذلك إلى أن يخطىء بعضهم بعضا وشاهد ذلك حذيفة بن اليمان فأخبر عثمان بالذى رأى فخشى أن يعظم الامر وأن تكون فتنة فأمر زيد ابن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث ابن هشام فنسخوا تلك الصحف فى مصحف واحد مرتب السور واقتصروا على لغة قريش لانها خلاصة اللغات العربية

والقراءات التى تلقتها الامة بالقبول ونقلت الينا متواترة هى القراءات السبع التى نسبت الى ابن كثير قارىء مكة ونافع قارىء المدينة وابن عامر

---

(١) جمع فراشة وهى طائر يقع على السراج فيحترق (٢) إبطاء (٣) السعف الذى ليس عليه خوص (٤) حجارة بيض رقاق (٥) جمع كتف وهو عظم اللوح من الحيوان

قارىء الشام وابى عمرو بن العلاء قارىء البصرة وعاصم وحمزة والكسائى قراء الكوفة فهذه القراءات السبع متفق على تواترها . وهناك ثلاث أخرى محل خلاف وهى قراءة أبى جعفر ويعقوب وخَلَف ، وما وراء ذلك متفق على شذوذه ولا يسمى قرآنا

أثر القرآن الكريم فى اللغة

نزل القرآن بلغة قريش وهى ماهى صاحبة السيادة على العرب جاهلية واسلاما فنهج الكتاب والخطباء نهجه وأخذوا يحاكون أسلوبه ويقتبسون من آيه ويستشهدون بحججه وبراهينه وظهر أثر ذلك فى كتاباتهم فاستحالت خشونة الاسلوب الى سلاسة وعذوبة وبطلت الاسجاع التى كانوا يحفلون بها فى مفاخراتهم ومنافراتهم

ومن ثم كان القرآن السبب فى بقاء اللغة وصونها عن كل ما يشينها ويذهب ببهجتها ، وبه قد كتب لها الخلود من بين اللغات القديمة التى عفَت آثارها وزالت من الوجود معالمها ، الى أنه أحدث فى اللغة فنونا وعلوما لولاه لم تخطر على بال أديب أو عالم من نحو وصرف ومعان وبيان وتفسير وحديث وأصول وتوحيد الى نحو من ذلك من شتى الفنون ومختلف المباحث

النثر فى هذا العصر وأثر الاحوال الاجتماعية فيه

جاء الاسلام فوحد كلمة العرب وهذب طباعهم ولم شعثهم وأسس لهم ملكا كبيرا — ولما سمعوا كلام الله وأحاديث رسوله باساليبها الراقية

ونظامها البديع أثر ذلك أعظم الأثر فى رقى أساليبهم وتهذيب ألفاظهم بمحاكاة ألفاظ القرآن وتجنبوا الحوشى من الكلام

ولما اتسعت الفتوح الاسلامية عهد الدولة الاموية وامتدت رقعة البلاد التى دانت لهم وكثر السبى من أبناء فارس والروم ودخل منهم العدد العديد فى الاسلام واختلطوا بالعرب مصاهرة وجوارا نشأ نشء جديد فى البلاد التى استعمروها تبلبلت ألسنتهم وأصبحوا يتخاطبون بلغة عربية فيها بعض اللحن والتحريف — أما العرب فى جزيرتهم فبقيت لغتهم على حالها الاولى وخاصة العرب من سكان الامصار تباعدوا عن مصاهرة الاعاجم وأرسلوا أولادهم الى البادية لينشئوا نشأة فصحاء الاعراب وأحضروا لهم المؤدبين البلغاء . وعظم شأن الخطابة فى هذا الطور وصارت الحاجة اليها ماسة فى كل اجتماع دينى أوسياسى وقام بشأنها الرؤساء من الخلفاء والامراء والقواد وكان لهم فى ألفاظ القرآن وأساليبه وحججه وبراهينه مدد أيما مدد ، فسهلت عباراتها وانتقيت ألفاظها وتجنب فيها السجع واستعملت فى نشر الدعوة الى الاسلام وبيان عقائده وما أعد الله لعباده من ثواب أو عقاب على أنها قد ضعف شأنها أواخر الدولة الاموية حين أمن ملوكها منازعة الاحزاب وكلفوا بالترف والنعيم وعاد للشعر بعض سلطانه .

وزاد قسم جديد وهو الكتابة الانشائية وقد دعا اليها امتداد سلطان القوم على أرجاء فارس والروم فكتب رسول الله الى الملوك والامراء وكتب الخلفاء الى العمال وقواد الدولة فى الاقاليم بما تدعو اليه الحاجة ، ثم عهدوا بها الى كبار الكتاب حين شغلوا بمهام الدولة

وتمتاز الكتابة فى هذا العصر بجزالة الاسلوب وبعدها عن الزخرف ونهجها منهج الايجازمع ايراد الحقائق بلا مبالغة ولاتهويل

مثل صحة النثر فى هذا العصر

(١) خطب جامع المحاربى وكان الحجاج قد شكا سوء طاعة أهل العراق فقال

ياحجاجُ أما إنهم لو أحبّوك لأطاعوك ، على أنهم ماشنئوك لنسبك ولا لبلدك ولا لذات نفسك . فدع مايبعدهم منك الى مايقربهم اليك ، والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك ، وليكن ايقاعك بعد وعيدك ووعيدك بعد وعدك

(٢) وخطبت فَرْغانة بنت أوس على قبر الاحْنَف بن قيس تؤبنه وهى راكبة جملا فقالت إنا لله وإنا اليه راجعون ، رحمك الله أبا بحر من مِجَنّ فى جَنَن (١) ومُدْرج فى كفن ، فوالذى ابتلانا بفقدك ، وبلّغنا يوم موتك ، لقد عشت حميدا ، ومُتّ فقيدا . ولقد كنت عظيم الحلم ، فاضل السلم ، رفيع العماد ، وارى الزناد (٢) منيع الحريم (٣) سليم الاديم (٤) وانْ كنتَ فى المحافل لشريفا ، وعلى الارامل لعطوفا ، ومن الناس لقريبا وفيهم لغريبا ، وإن كنت لمسوّدا ، والى الخلفاء لموفّدا ، وإن كانوا لقولك لمستمعين ، ولرأيك لمتبعين ،

---

(١) المجن الترس الذى يتقى به ضرب العدو والجنن القبر (٢) وارى زنده كناية عن التوفيق فى العمل (٣) الحريم مايحميه الرجل ويدافع عنه (٤) الاديم الجلد المدبوغ وهو كناية عن عدم العيب

(٣) وأوصى معاويه ابنه يزيدَ عند احتضاره فقال

انظر الى أهل الحجاز فهم أصلك وعِترتُك، فمن أتاك منهم فأكرمه، ومن قعد عنك فتعهده ، وانظر الى أهل العراق ، فان سألوك عزل عامل لهم فى كل يوم فاعزله ، فان عزل عامل أهون عليك من سل مائة ألف سيف ثم لا تدرى على ما أنت عليه منهم ، ثم انظر الى أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار[1] ، فان رابك من عدوك ريب فارمهم بهم ، فان أظفرك الله بهم فاردد أهل الشام الى بلادهم ، ولا يقيموا فى غير ديارهم فيتأدبوا بأدبهم

لست أخاف عليك غير عبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وحسين ابن على ، فأما عبد الله بن عمر فرجل قد وقَذَه[2] الورع ، وأما الحسين فانى أرجو ان يكفيكه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه ، واما ابن الزبير فانه خَبٌ ضَبٌ ، فان ظفرت به فقطّعه إرْباً . ومما قيل فى الحكم فى هذا العصر

قول رسول الله : لا تزال أمتى بخير مالم تر الامانة مغْنَما والصدق مغْرَما

وقول أبى بكر : احرص على الموت توهب لك الحياة

وقول عمر : مروا ذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا

وقول عثمان : أنتم الى إمام فعّال أحوج منكم الى إمام قوال

وقول على : من صارع الحق صرعه ، من أطال الامل أساء العمل

ومن أمثال هذا العصر :

---

(١) الشعار مايلى الجسد من اللباس والدثار مايلبس فوق الشعار اى اجعلهم الاصدقاء المخلصين (٢) سكنه وجعل فيه هدوءا (٣) مراوغ خداع

المثل	مضربه
هُدْنة على دخَن وجماعة على أقذاء (١)	لفساد الضمائر والنيات
لا يُلسع المؤمن من جُحْر مرتين (٢)	لمن أوذى من شئ فلا يرجع اليه
قضية ولا أبا حسن لها (٣)	فى الأمر اذا أشكل
من نجا برأسه فقد ربح (٤)	عند شدة الأمر وتفاقم الخطب
لا رأى لمن لا يطاع (٥)	فى ترك الرأى اذا لم يُسمع
كأن على رءوسهم الطير (٦)	للساكنين الوادعين

النظم وأثر الاحوال الاجتماعية فيه

كان الشعر قبل الاسلام مَفْخرة العرب وديوان مكارمهم ومعرض فصاحتهم ومنبع مآثرهم ، فلما جاء الاسلام يدعو الناس الى توحيد الله ويحض على التمسك بالفضيلة وينهى عن الرذيلة ويسوى بين الناس جميعا (الناس سواسية كاسنان المشط) صرفهم ذلك عن قول الشعر وترك فنونه البعيدة عن المروءة المنحرفة عن سنن الشرف كالهجاء والاستجداء المقذع ، دون ما كان فى صالح الاعمال والمواعظ ومدح الرسول وأنصاره والرد على من هجاه — وما زال أمره كذلك حتى انتصر المسلمون على من ارتدمن العرب فوصفوا المعارك وآلات القتال وتباهوا بالنصر على الاعداء .

ولما ولى الامر بنو أمية وانقسم المسلمون الى شيع وأحزاب ، فريق

(١ و ٢) من كلام رسول الله (٣) من كلام عمر (٤) قيل هذا المثل فى وقعة صفين وهو شطر بيت وقبله الليل داج والكباش تنتطح (٥) من كلام على يعاتب اصحابه (٦) فى صفة مجلس رسول الله

ينتصر لعلى وآخر لمعاوية وخوارج على الفريقين ـ أخذ الشعر منحى حزبيا وأصبح اللسان الناطق والترجمان الصادق للتعبير عن مقاصد الاحزاب وتحبب الامويون الى الشعراء وأغدقوا عليهم وافر العطاء وتنافسوا فى جلب مرضاتهم ، لكنهم أكرموا فريقا دون فريق لتتسع مسافة الخلف بين قبائلهم فيشغلهم ذلك عن الخوض فى أمر الملك — وبذا عاد للشعر ما كان له من الرونق والبهاء وتعددت أغراضه وارتقت أساليبه وعذبت كلماته وجدت فيه محاسن كجمال التشبيه وجودة الاستعارة وابتداع المعانى ودقة المأخذ الى نحو من هذا ولم يكن له مثل ذلك فى الجاهلية ، واشتهر شعراء من جميع القبائل حتى قريش

وهاك شذرات من الشعر فى أغراض مختلفة فى هذا العصر

(١) فى الفخر

قال النابغة الجعدى يفخر بقومه

وانّا لقوم ما تُعَوّد خيلُنا ... اذا ما التقينا أن تحيد وتنفِرا
وننكر يوم الرَّوْع ألوانَ خيلنا ... من الطعن حتى نحسِبَ الجوْنَ أشقرا[1]
بلغْنا السماء مجدُنا وجدودنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مظْهَرا[2]

(٢) فى المحاسبة

قال الاشتر النَخَعى[3]

بقّيتُ وفرى وانحرفتُ عن العلا ... ولقيت أضيافى بوجهِ عَبوسِ[4]

الجون الابيض (٢) مجدنا بدل اشتمال من ضمير بلغنا (٣) النخع قبيلة (٤) هذه الجمل اخبار مستعملة فى القسم

ان لم أشِنّ على ابن هند غارةً لم تخلُ يوما من نِهاب نفوس (١)
خيلا كأمثال السَّعَالى شُزَّبًا تعدو ببيض فى الكريهة شوس (٢)
حمى الحديدُ عليهمُ فكأنه لمعان برق أو شعاع شموس

(٣) فى المدح

قال الأخْطَل يمدح بِشْر بن مَرْوان

اذا أتيتَ أبا مروان تسأله وجدتَه حاضراه الجود والحسبُ
ترى اليه رفاق الناس سائلةً من كل أوْب على أبوابه عُصَب (٣)
يحتضرون سجَالا من فواضله والخير محتضَر الأبواب منتَهب (٤)
والمطعِمُ الكُوم لا ينفك يعقرها اذا تلاقى رواق البيت واللهب (٥)
كأن حِيرانَها فى كل منزلةٍ قتلَى مجرّدةُ الأوصال تُسْتَلَب (٦)

(٤) فى العتاب

قال الوليد بن عبد الملك يعتب على أخيه سليمان وقد بلغه أنه تمنى موته

تمنَّى رجال أن أموت وان أمت فتلك سبيل لستُ فيها بأوحد

---

(١) ابن هند معاوية والنهاب جمع نهب وهو الغنيمة (٢) السعالى جمع سعلاة وهى الغول والشزب جمع شازب وهو الضامر اليابس والشوس جمع أشوس الجرىء على القتال

(٣) الاوب الناحية والعصب جمع عصبة الجماعة من الرجال (٤) السجال جمع سجل الدلو العظيمة والمنتهب الذى ينتهبه الناس (٨) الكوم جمع كوماء الناقة الضخمة السنام ، وتلاقى الرواق واللهب يكون حين تعلو النيران وقت الشتاء أيام القحط والجدب (٦) الحيران جمع حوار فصيل الناقة والأوصال المفاصل ، يريد أن عظامها خالية من اللحم كأنه سلب ما عليها

وقد علموا (لو ينفع العلمُ عندهم) لأن متُ ما الداعى علىّ بمُخْلَد
منيّته تجرى لوقت وحَتْفه سيلحقه يوما على غير مَوْعد
فقل للذى يبغى خلاف الذى مضى تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

(٥) فى الاستعطاف والاعتذار

قال الحطيئة يستعطف عمر بن الخطاب وكان قد سجنه

ماذا تقول لأفراخ بذى مَرَخ زُغْب الحواصل لاماءٌ ولاشجر (١)
ألقيتَ كاسبهم فى قعر مُظلمة فاغفر عليك سلام الله ياعمر
أنت الأمير الذى من بعد صاحبه ألقى اليك مقاليدَ النهى البشر
لم يُؤْثِرك بها اذ قدَّموك لها لكن لانفسهم كانت بك الخِيَر (٢)

(٦) فى الهجاء

قال عبد الرحمن بن حسان يذم شخصا كان قد سأله حاجة ولم يقضها وقضاها غيره

ذُممتَ ولم تُحمْد وأدركتُ حاجتى تولى سواكم شكرها واصطناعها
أبى لك فعلَ الخير رأىٌ مقصرٌ ونفسٌ أضاق الله بالخير باعها
اذا هى حثته على الخير مرة عصاها وان همت بسوء أطاعها

(٧) فى الرثاء

قال رأس الخوارج عِمْران بن حِطّان يرثى مرداسا الخارجى

---

(١) ذومرخ واد بالحجاز والزغب جمع أزغب وهو مانبت ريشة صغيرا (٢) يؤثروك يقدموك والخير جمع خيرة

ياعين بكّى لمرداس ومصرَعه ... بارب مرداس اجعلنى كمرداس
تركتَنى هائما أبكى لمَرْزِئتى ... فى منزل موحشٍ من بعد إيناس (١)
أنكرتُ قبلك من قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يامرداس بالناس
إمّا شربتَ بكأس دار أولها ... على الكرام فذاقوا جُرْعَةَ الكاس
فكل من لم يذقها شاربٌ عجلا ... منها بأنفاس بعد أنفاس

(٨) فى الوصف

قال حُميد بن ثور يصف حمامة تسجع

مطوقةً خضباءَ تسجع كلما ... دنا الصيف وانزاح الربيع فأنجما (٢)
تغنت على غصن عِشاء فلم تدع ... لنائحة فى نوحها متلوّما (٣)
فلم أر مثلى شاقه صوت مثلها ... ولا عربيا شاقه صوت أعجما

(٩) فى الحكم

قال محمد بن بشير

إن الامور اذا انسدت مسالكُها ... فالصبر يفتُق منها كل ما ارتُتِجا (٤)
لاتيأسنّ وان طالت مطالبة ... اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلِقْ بذى الصبر ان يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للابواب أن يلجا (٥)
قدّر لرجلك قبل الخطو موضعها ... فمن علا زلقا عن غِرّة زَلَجا (٦)

---

(١) المرزئة المصيبة (٢) مطوقة ذات طوق وتسجع تغنى وانزاح انكشف وانجم ولى (٣) تلوم فى الامر انتظر (٤) ارتج أغلق (٥) قرع الباب دقه ويلج يدخل (٦) زلج زلق

(١٠) فى السياسة

قالت سَوْدة بنت عمارة الهمدانية تحض أخاها على قتال معاوية ونصرة على

شَمِّرْ لفعل أبيك يابن عُمارةٍ ... يوم الطعان وملتقى الاقران
وانصر عليا والحسين ورهْطه ... واقصد لهند وابنها بهوان
ان الامام أخا النبي محمد ... علم الهدى ومنارة الايمان
فقُدِ الجيوش وسر أمام لوائه ... قُدُما بأبيض صارم وسِنان

﴿ انتشار اللغة العربية وحواضر الادب فى العالم الاسلامى ﴾

فتح العرب البلدان ومصروا الامصار وأفاء الله عليهم بملك الاكاسرة والقياصرة وكان لهم من سجاحة دينهم وسماحته مامكّن لهم فى الارض ، ومن عدل أهله ماحبب الى قطان تلك البلاد المستعمرة أن يختلطوا بهم مصاهرة وجوارا وأن يدخلوا فى ذلك الدين زَرافات وُوحْدانا ويدرسوا تعاليمه ويقرءوا آدابه .

فكان كل ذلك داعية انتشار اللغة العربية فى كل بلد حلوه وإقليم سكنوه وامتد سلطانها فى بلادفارس والروم ومصر وأصبحت لغة التخاطب بين الحاكم والمحكوم ، اذ كانت لغة الفاتح وصاحب الصولة والصولجان ، والناس على دين ملوكهم ، وصارت هى اللغة الرسمية فى دواوين تلك البلاد التى فتحوها ونبغ من أبنائها علماء فى كل فن بل كان أشهر علماء اللغة الاعلام هم من سلائل أولئك الاعاجم

حواضر الادب

أشهر حواضر الادب على حسب ترتيب العصور مكة والمدينة والبصرة والكوفة ودمشق وبغداد وقُرْطبة والقاهرة

مكة والمدينة

كان للغة القرشية فى الجاهلية منزلة لا تسامى بين اللغات العربية ، فاهلها هم قطّان بيت الله الحرام الذى يفد اليه الحجيج من كل فج سحيق فيستمعون الوفود من جميع أنحاء البلاد العربية ويختارون أحسن مايستمعون من ألفاظ وأساليب

ولما جاء الاسلام ونزل القرآن الكريم بلغتهم وظهر الداعى العظيم منهم وانتشر الدين على أيديهم زاد شأنها ارتفاعا وعم نفوذها سائر بلاد العرب .

فلما هاجر النبى الى المدينة جاءته القبائل تترى تتسمع كلام الله وتتلقى منه أحكام الدين صارت المدينة حاضرة الاسلام ومنتدى الوفود من جميع الأحياء العربية ، ولم تزل كذلك عصر الخلفاء الراشدين مقصد المسلمين من سائر أنحاء العالم الاسلامى

البصرة والكوفة

أسس البصرة عُتبة بن غزوان سنة ١٤هـ على حدود البادية فكان قطانها من فصحاء الاعراب وتميزوا بمعرفة الفصيح من اللغة ، وكان فيها المِرْبد[1] وهو عكاظ الاسلام يقوم فيه مصاقع الخطباء ويتبارى فيه جهرة الأدباء

ومصّرت الكوفة بعد البصرة بستة أشهر واستوطنها مهاجرة اليمن ومن طرأ عليها من الاعراب ، وكان لها شأن كبير فى خلافة على أيام الفتنة

---

(١) أصله محبس الابل وغيرها ثم صار فى البصرة مجتمع الخطباء والشعراء

والنزاع الذى كان بينه وبين معاوية وله فيها الخطب الطنانة والمواعظ الرنّانة

وقد استطال الجدل بين المصرين زمنا طويلا وانفرد كل منهما بمذاهب فى العربية استخرجوها من كلام العرب أو وضعوها محاكاة لكلامهم، وكان فى كل منهما علماء وأدباء ورواة استمر شأنهم مدة الدولة الاموية وبعض الدولة العباسية، وقد كان البصريون أفطن للقياس وأدق فى استنباط الاحكام، والكوفيون اكثر رواية للشعر والأخبار

وكان أول علماء البصرة ابو الاسود الدؤلى وهو من التابعين وعنه أخذ جماعة هناك، ومن أجل علمائها الخليل بن احمد وسيبويه وخلف الاحمر، ومن علماء الكوفة الكسائى والفرّاء وحماد الراوية

ومن رواة الادب بجميع فنونه لغة وشعرا وأخبارا ابو عمر بن العلاء وأبو عُبيدة مَعْمر بن المُثنّى والاصمعى وأبو زيد الانصارى

دمشق

اتخذها الامويون حاضرة المملكة ومبعث قوتهم نحو قرن من الزمان، فكانت مباءة الشعراء والادباء وذوى الحاجة رغبة فى جزيل العطايا وعظيم الصلات — اذ رأى الامويون اختلاف الاحزاب وكثرة الشغب عليهم فجذبوا اليهم الشعراء وسمعوا منهم المدائح وقبلوا شفاعاتهم وأثابوهم وبثوا فيهم روح التسابق الى أبوابهم، فكان للادب صولة ولرجاله دولة فى الدولة — وما ملاحاة جرير والفرزدق والاخطل ومن لف لَفَّهم ردَحا من الزمن الا أثر من آثار تلك الحياة الادبية العظيمة السلطان فى ذلك العهد

بغداد

أسسها أبو جعفر المنصور على شاطىء الدجلة حين رأى أهل الكوفة يميلون الى العلويين وحصّنها بسور عليه مائة وثلاثون برجا ، ثم هاجر اليها كثير من علماء المصرين البصرة والكوفة وامتزجت مذاهبهما وتكوّن منها مذهب بغدادى جديد وشغف أهلها بالعلوم الادبية وترجموا الكتب فى سائر الفنون فانتشرت اللغة العربية فى سائر آسيا وتكلم بها أهلها عوضا من لغاتهم ، وكان المأمون يحضر الدروس ويكافىء المؤلفين والأدباء وبذا صارت بغداد قبلة الشعراء والادباء ومعقد أواصر المسلمين ومستقر خلافتهم ومهبط أنصار العرب ومنزع آمالهم ومحط رحالهم، ومن لم يقصدها للاقامة بها فى كنف الخلفاء والأمراء قصدها للنُجْعة والامتياح، وأصبحت ميدانا تتسابق فيه جياد الفحول فى كل فن، لاسيما الشعراء فقد كانت لهم عند الخلفاء سوق نافقة ودام أمرها كذلك حتى انتهاء الدولة العباسية

قرطبة

وجدت اللغة فى الاندلس مرعى خصيبا على بعدها من بلاد العرب بعد أن بذروا فيها بذورهم وتعهدوا غِراسهم واشتغلوا بالادب والعلم وكان ذلك مظهر حياتهم العقلية والعلمية ، وصار الشعر الاندلسى يمتاز فى جملته عن الشعر العربى بمعانيه المبتكرة والافتنان فى أخيلته ، ولبث هناك زُهاء ثمانية قرون بين الخاصة والعامة ، وقال الشعر كثير من الامراء وسابق الرجالَ فى ذلك النساء وكانت صناعة الشعر واجبة على من يريد أن يتقرب من الملوك ويصير من حاشيتهم

القاهرة

أسسها المعز لدين الله الفاطمى وسعى فى تقدمها لتنافس بغداد فسارت سيرا حثيثا فى الرقى الأدبى والعلمى وصارت ملتقى العلماء ومهبط الشعراء والكتاب ،

وما زال حالها منذ ذلك الحين بين خفض ورفع ونحس وسعد وقبض وبسط حتى أتاح الله لها رأس الاسرة المحمدية العلوية فرفع من شأن اللغة فيها بانتعاش الحياة العلمية

ومما دعا الى بقاء الادب يانعا فيها تلك الحُقَب الطوال أن من حكمها من الملوك قد أخلص لها النصح وأوفى المثوبة للعلماء — الى وجود الجامع الازهر بها واحتفاظه بدراسة اللغة العربية وتفسير الكتاب الكريم والسنة الشريفة

اللغة العربية فى العصر العباسى

كانت الدولة الاموية عربية الصبغة فى كل شىء شديدة النَّعَرة الجنسية لايقوم بمهام الامور فيها الا العرب — الى بغضهم لمن عداهم من الشعوب فلم تجد آداب الأمم التى حكموها منفذا الى لغتهم ، ولم يكن هناك من فارق بين هذا العهد وعصر الخلفاء الراشدين الا أبهة الملك واتساع الخيرات التى تجبى والنعم التى تتظاهر عليهم

فلما قامت الدولة العباسية على أنقاض سابقتها وكان الفرس هم أنصارها وأعوانها وقد ركزت على أيديهم أعلامها جعلهم الخلفاء عدتهم فى جميع مهام الدولة وخالطوهم مخالطة الجوار والمصاهرة واقتبسوا من مدنيتهم

واستضاءوا بنور علومهم ولم يكتفوا بذلك بل نهلوا من المدنيات الأخرى فأخذوا من اليونان فلسفتهم ورياضتهم ومن السريان طبهم وزراعتهم ومن العبرانيين اقاصيصهم واخبارهم — فتأثرت بذلك أخيلتهم وتغيرت طرق تفكيرهم بل سائر شئون معيشتهم وانغمسوا فى غمار الترف والنعيم

فلا عجب أن عملت هـذه العوامل فعلها فى اللغة وتأثرت بالبيئة وصارت لغة سياسية وعلم وتجارة وصناعة وابتداع واختراع وزهو ولهو بعد أن كانت لغة شريعة وخيال ، مع صفاء ألفاظها ونقائها من كل نافر مستكره واطراح كل مالا حاجة للحضارة به من غرائب أوصاف الابل وشعاب الجبال واستبدلوا بذلك ألوانا من مصطلحات العـلوم وأجزاء الصناعات وآلاتها — الى اشتمال الاسلوب على المونق من المجاز والاستعارة والتشبيه والـكناية وتحليته بصنوف البـديع من جناس وطباق ونحوهما وتنويع المطالع والخواتيم كل ذلك مع ايجاز بالغ حد الاعجاز تارة واسهاب وبسط تارة أخرى ، الى وسط بين ذلك

على أن اندماج الاعاجم فى غمار العرب أضر باللغة من ناحية أخرى إذ نشأ فيها العامى والدخيـل وازداد اللحن شيوعا برغم مابذل العلماء من الجهد فى تأليف الـكتب فى قواعد العلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة إلى مختارات المنظوم والمنثور

حال الخطابة فى هذا العصر

كان قيام هذه الدولة على انقاض سالفتها باعثـا من بواعث الحاجة الى الخطابة ، اذ كانت الدواعى ماسة الى الانتصار للدولة القائمة والتشيع لبعض

الاحزاب دون بعض ومن ثمّ كان بين القواد والولاة والرؤساء خطباء مصاقع وبلغاء فطاحل

لكن لما اشتد الاختلاط بالاعاجم وقام الموالى بمهام الشئون ضعف شأنها لتناقص العناصر العربية ، ولم يمض أكثر من قرنين منذ قيام هذه الدولة حتى تركت الخطابة وصارت مقصورة على خطب الجمع والعيدين والمواسم وحل محلها نشر المنشورات السياسية ومجالس الوعظ والارشاد فى الامور الدينية وقد اشتهر فى ذلك العصر جماعة من العلويين والعباسيين والخوارج كداود بن على وأبى جعفر المنصور والمأمون

الكتابة فى هذا العصر

تنوعت الكتابة فى هذا العصر الى

(١) كتابة تدوين وتصنيف فى العلوم والفنون وتختلف بحسب اصطلاحات العلوم التى كتبت فيها واللغات التى ترجمت منها ، وقد نالت اللغة منها ثروة جديدة فى الالفاظ لكنها انحرفت عن السنن السوى فى الاساليب حتى أصبحت كتب بعض العلوم كالفلسفة والالهيات صعبة الفهم بعيدة المنال

(٢) كتابة دواوين وقد تعددت أغراضها واختلفت أشكالها بما استحدث من العمران فى الدولة فأصبحت كتابة الولاة الى الخلفاء تخالف كتابة التوقيع [1] الذى يكتبه الخلفاء أو الوزراء تذييلا لما يعرض عليهم من الشئون

(٣) كتابة رسائل وقد جرت أوائل حكم العباسيين على الطريق التى

---

(١) ما يصدر من الخليفة او الوزير إمضاء الأمر يقدم اليه

سلكها عبد الحميد وابن المقفع من الجزالة وقوة الحجة ، ثم سلكت مسلكا مهلهلا فسهلت عباراتها وشاع فيها السجع القصير الفقر مع الولوع بالمحسنات اللفظية كالطباق والتلميح والاقتباس

وللكتاب والمنشئين فى هذا العصر الرسائل الممتعة ، والمقامات [1] الجيدة التى تدل على حسن الابتكار وقوة الاختراع والابداع ، والتوقيعات التى بلغت غاية الايجاز وكادت تصل مرتبة الاعجاز ، كرسائل سهل بن هرون والجاحظ والصاحب بن عَبّاد والخوارزْمى ومقامات البديع ، وتوقيعات الخليفة أبى جعفر المنصور والوزير جعفر بن يحيى البرمكى ، وعلى الجملة فقد كان هذا العصر هو العصر الذهبى للغة وآدابها .

نماذج من الخطب والرسائل

والتوقيعات والمقامات

الخطب

قدم على المهدى رجل من أهل خراسان فقال :

أطال الله بقاء أمير المؤمنين ، اناقوم نأينا عن العرب وشغلتنا الحروب عن الخطب وأمير المؤمنين يعلم طاعتنا ومافيه مصلحتنا ، فيكتفى منا باليسير من الكثير ويقتصر على مافى الضمير دون التفسير — فقال له المهدى أنت أخطب من سمعته

---

(١) هى قصص خيالية (روايات) يكثر فيها الغريب والسجع وتتضمن طرفا وحكما بليغة

الرسائل

كتب أبو الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ فى شكوى الزمان

إنما أشكو اليك زمانا سلب ضعف ما وهب ، وجفع بأكثر مما متّع وأوحش فوق ما آنس ، وعنّف فى نزع ما ألبس ، فانه لم يذقنا حلاوة الاجتماع حتى جرّعنا مرارة الفراق ، ولم يمتعنا بأنس الالتقاء حتى غادرنا رهن التلهف والاشتياق ، ولله الحمد على كل حال يسوء ويسرّ ، ويحلو ويُمرّ .

التوقيعات

(١) وقع جعفر بن يحى لرجل اعتذر عنده من ذنب

قد قدُمت طاعتُك ، وظهرت نصيحتُك ، ولا تغلب سيئة حسنتين

(٢) وقع طاهر بن الحسين فى قصة رجل يستعطفه — عش مالم أرك

(٣) وقع ابن العميد على ورقة أغار فيها كاتبها على كلام له

هذه بضاعتنا رُدت إلينا

المقامات

كتب البديع الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٧

حدثنى عيسى بن هشام قال — كنت فى بعض بلاد بنى فزارة ، مرتحلا نجيبه (١) ، وقائدا جنيبه (٢) ، يسبحان سبحا ، وانا أهيم بالوطن ، فلا الليل يثنينى بوعيده ، ولا البعد يدنينى ببيده (٣) ، وظللت أخبط

---

(١) ناقة كريمة (٢) ناقة تقاد بجانب أخرى تركب (٣) جمع بيداء وهى الفلاة

ورق النهار ، بعصا التّسيار ، وأخوض بطن الليل ، بحوافر الخيل ، فبينما أنا فى ليلة يضل فيها الغَطاط (١) ولا يبصر فيها الوَطواط ، أسبح ولا سابح الا السبع ، ولا بارح (٢) الا الضبع ، إذ عنّ لى راكب تام الآلات يطوى منشور الفلوات (٣) ، فأخذنى ما يأخذ الاعزل من شاكى (٤) السلاح ، لكنى تجلدت فقلت أرضَك (٥) لا أم لك ، فدونك شَرْط الحِدَاد (٦) ، وخرط القَتاد (٧) ، وخصم ضخم ، وحمِيّة أزدية ، وانا سِلْم ان شئت ، وحرب ان أردت ، فقل من أنت ، قال سلما أصبت ، وخيرا أجبت ، قلت فمن أنت ، قال نصيح ان شاورت ، فصيح ان حاورت

الشعر فى هذا العصر

بلغ الشعر فى هذا العصر الغاية فى الجودة والاحكام ودخل فيه فنون لم تعرف من قبل وتنوعت أغراضه بما يناسب روح هذه الحضارة الجديدة فاستعملوه فى وصف ما أحاط بهم من نوافج (٨) المسك ونوافر (٩) الماء ومحدثات البناء ، الى اغراق فى التملق والتهتك وإقذاع فى الهجاء واثارة للعصبية وتزهيد فى الدنيا وضرب المثل والقصص والحكايات مع رقة فى الأسلوب ووضوح فى المعنى وترتيب للافكار واختراع للاخيلة البديعة فى التشبيه والاستعارة — الى استعمال الطرق الفلسفية فى الاقناع

---

(١) القطا وهى مشهورة بالهداية (٢) ذاهب (٣) الصحارى الواسعة (٤) أصله شائك وهو ذو الشوكة والحدة (٥) اى قف (٦) الشرط الشق والحداد جمع حديد بمعنى حاد وهو السيف ونحوه (٧) القتاد شجرة شائك يضرب مثلا للممتنع نيله (٨) جمع نافجة وهى وعاء المسك (٩) جمع نافرة

وهاك شذرات من شعر هـذا العصر

(١) فى الفخر

قال ابو فراس الحمْدانى المتوفى سنة ٣٢٠ هـ يفخر بقومه

ألم ترنا أعز الناس جارا وأمنعهم وأمرعهم جنابا (١)
لنا الجبل المطل على نِزار حللنا المجـد منه والهضابا
يفَضّلنا الانامُ ولا نُحاشى ونُوصَف بالجميل ولا نُحابَى
وقد علمت ربيعة بل نزار بانا الرأس والناس الذُّنَابَى

(٢) فى الحماسة

ومن هذه القصيدة قوله وقد أوقع سيف الدولة ببنى كعب

ولما أن طغت سفهاء كعب فتحنا بينهـم للحرب بابا
منحناها الحرائب غير أنّا اذا جارت منحناها الحرابا (٢)
ولما ثار سيف الدين ثرنا كما هيّجت آسادا غضابا
أسنته اذا لاقى طِعـانا صوارمه اذا لاقى ضرابا

(٣) فى العتاب

قال سعيد بن حُميد يعاتب بعض اخوانه

أقلل عتابك فالبقاء قليل والدهر يعدل تارة ويميل
لم أبكِ من زمن ذممتُ صروفه إلا بكيت عليـه حين يزول

---

(١) أمرعهم أخصبهم (٢) الحرائب جمع حريبة وهو المال والحراب جمع حربة وهى آلة الحرب

ولكل نائبة ألمتّ مدةٌ ولكل حال أقبلت تحويل
فالمنتمُون الى الاخاء عِصابةٌ ان حُصّلوا أفناهم التحصيل
ولعل أحداث المنية والردى يوما ستصدع بيننا وتحول

(٤) فى الحنين الى الوطن

قال ابن الرومى فى الحنين الى بغداد وقد غاب عنها فى بعض أسفاره

بلدٌ صحبتُ به الشبيبة والصبَا ولبست ثوب الدهر وهو جديد
فاذا تمثل فى الضمير رأيتُه وعليه أغصان الشباب تَميد[1]

(٥) فى المدح

قال ابو إسحاق الصابى المتوفى سنة ٣٨٤ فى مدح الوزير المُهَلّبى

قل للوزير أبى محمد الذى قد أعجزت كلّ الورى أوصافُه
لك فى المحافل منطق يشفى الجوى ويسوغ فى أذن الاديب سُلافُه[2]
فكأن لفظك لؤلؤ متنخّلٌ وكأنما آذاننا أصدافه[3]

(٦) فى الحكم والادب

قال ابو الحسين احمد المتنبى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ

أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه حريصا عليها مستهاماً بهاصبًّا[4]
فحب الجبان النفس اورده التقى وحب الشجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان والفعل واحد الى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا

---

(١) تضطرب (٢) السلافة أجود الخمر (٣) متنخل مختار والاصداف جمع صدفة غشاء الدر (٤) الصب الكلف بالشىء المغرم به

قال ابن الرومى على بن العباس المتوفى سنة ٢٨٣ هـ فى وصف صانع رقاق (فطير)

ما أنس لا أنس خبّازا مررت به يدحو الرُقاقة مثل اللمح بالبصر (١)
مابين رؤيتها فى كفه كرةً وبين رؤيتها قوراءَ كالقمر (٣)
الا بمقدار ما تنداح دائرة فى لجّة الماء يُلقى فيه بالحجر (٣)

(٨) فى الرثاء

قال الخُوارَزْمى المتوفى سنة ٣٨٣ فى رثاء ركن الدولة أبى على ابن بويه :

ألستَ ترى السيفَ كيف انثلمْ وركن الخلافة كيف انهدمْ (٤)
طوى الحسنَ بن بُوَيْهَ ازدى أيدرى الردى أىّ جيش هزمْ
طويل القناة قصير العِدَات ذميم العُداة حميد الشيم (٥)
فصيح اللسان بديع البيان رفيع السِنان سريع القلم
فيادهر سُحقاً ولا تحتشم فقد ذهب الرجل المحتشم (٦)
اذا تم أمر بدا نقصه توقّع زوالا اذا قيل تم

(٩) فى الهجاء

قال أبو نُوَاس الحسن بن هانىء المتوفى سنة ١٩٨ هـ يهجو محمد بن اسماعيل

---

(١) ماللشرط وأنسى الاولى فعل الشرط والثانية الجواب والمعنى أنه ان نسى أى شيء فلا ينسى هذا ، ويدحو يبسط (٢) القوراء المتسعة كالقمر فى الاستداره (٣) تنداح تنبسط وتكبر (٤) انثلم انكسر (٥) العدات جمع عدة والعداة جمع عاد (٦) سحقا بعدا وهو دعاء عليه وتحتشم تغضب والمحتشم المستحيى

فتى لرغيفه قُرْط وشَنْف وخلخالان من خَرَز وشَذْر (١)
اذا فقد الرغيف بكى عليه بكا الخنساء اذ فُجِعت بصخر (٢)
ودون رغيفه قلع الثنايا وضرب مثل واقعة ابن بدر (٣)

الترجمة والتأليف فى هذا العصر

اتسعت رُقعة الممالك الاسلامية ايام الدولة العباسية ودخل كثير من الامم المتحضرة فيها فمست الحاجة الى تهذيب ما تفرق فى الكتب التى ألفت فى العصر الماضى وتدوين ماحفظ فى الصدور ، وساعد على ذلك حث الخلفاء على التأليف وبذلهم العطايا الوافرة للعلماء فقد أخذ أبو جعفر المنصور ينشىء المدارس الطبية والفلكية وأتم حفيده هرون ما شرع جده فى تشييده ، وما زالت دوحة العلم تنمو وتكبر فى عهد المأمون حتى وصلت الى الغاية التى ليس بعدها مستزاد لمستزيد ، وانقسمت العلوم الى قسمين عظيمين العلوم الاسلامية من شرعية ولسانيه والعلوم الكونية من طب وهندسة وفلك وقد ترجمها العرب من الامم التى كانت أسبق منهم حضارة ومدنية كالفرس واليونان والهند والسريان

وقد زخرت بحار الترجمة فى عصره وبعث الى بلاد الروم جماعة من العلماء اختاروا له كتبا حملوها الى بغداد وأخذوا ينقلون كتب الأوائل من اللسان اليونانى والفارسى والهندى الى العربية ، وكان المترجمون أولا

---

(١) الشنف مايلبس فى اعلى الاذن والقرط مايلبس فى الاسفل والشذر جمع شذرة اللؤلؤة الصغيرة (٨) صخر أخو الخنساء ويضرب بها المثل فى حزنها عليه (٢) الثنايا جمع ثنية أربع اسنان فى مقدم الفم ووقعة بدر اول موقعة فى الاسلام

مسيحيين وصابئة ثم تعلم العرب هذه العلوم ونقلوا الكتب منها الى لسانهم وأصلحوا أغلاطها وأنفوا ان يكونوا عالة على غيرهم فقد كانت القاعدة عندهم كما قال المؤرخ جوستاف لوبون (جرب وشاهد ولاحظ تكن عارفا بينا هي عند الاوربيين الى مابعد القرن العاشر المسيحى اقرأ الكتب وكرر مايقول الاستاذ تكن عالما)

وهم أول من استعمل الساعة الدقاقة للدلالة على أقسام الزمن واستكشفوا قوانين لثقل الاجسام ووضعوا جداول للارصاد الفلكية واخترعوا علم الجبر

(الادب والفنون بمصر فى عهد الفاطميين والمماليك)

العهد الفاطمى من سنة ٣٥٨ الى سنة ٥٦٧

قامت الدولة الفاطمية بمصر وأسس المعز لدين الله القاهرة سنة ٣٥٨ وفى هذه السنة أسس الجامع الازهر ، وحذا من بعده من الملوك حذو الدولة العباسية فى اجتذاب العلماء اليهم حتى فاقت مدارس القاهرة مدارس بغداد وتقدمت الآداب والفنون بمصر وصارت قبلة الطلاب من جميع الآفاق ، وأسس الحاكم لأمر الله مدرسة تسمى دار الحكمة جلس للتدريس فيها الفقهاء والقراء وأرباب اللغة والنحو والاطباء والمنجمون وكان بها مكتبة تحوى كتبا فى الآداب وسائر الفنون لم ير الناس مثلها فى ذلك العهد وقد روى المقريزى أنه كان بها مائة ألف مجلد منها ستة آلاف فى العلوم الفلكية والرياضية وكرتان ارضيتان احداهما لبطليموس والثانية لعبد الرحمن الصوفى كما حكاه المؤرخ سديو

واشتهر فى زمنه ابن يونس صاحب الزيج[1] الحاكمى وقد بنى له مرصدا فى جبل المقطم واخترع بندول الساعة الدقاقة ، وخلفه جمع آخرون منهم حسن بن الهيثم الذى ألف أكثر من ثمانين كتابا فى الارصاد وعلم النظر والضوء

ومن أشهر الفنون التى اشتهروا بها صناعة البناء والعمارة والزخرفة والنقش والتصوير الى غير ذلك مما لا تزال الآثار المحفوظة منه فى دار الآثار شاهدة على براعتهم فيها كما لا تزال مبانى جامع الحاكم والأقمر وباب زويلة (بوابة المتولى) وباب النصر وباب الفتوح تدل على مهارتهم فى صناعة البناء

وقد زالت آثار هذه الدولة سريعا وخفيت معالمها ولم يصلنا منها الا النزر اليسير لان الدولة الايوبية التى جاءت بعدها محت آثارها اذ كان ملوكها من أهل السنة المخالفين للفاطميين الشيعة فى العقيدة ، ولان جمهرة الشعب لم يكن موافقا لهم فى الرأى والهوى

وهذه نُتف من النثر والنظم فى هذا العهد

(١) كتب الحاكم بأمر الله الى كبير أمنائه وقد توقف عن عطاء بعض صلاته فقال :

أصبحت لا أرجو ولا أتقى إلا إلهى وله الفضل
جدى نبيّ وإمامى أبى ودينىَ الاخلاص والعدل

---

(١) مايعرف به أحوال حركات الكواكب ويؤخذ منه التقويم

المال مال الله عز وجل والخلق عبـاد الله ونحن أمناؤه فى الارض ، أطلق أرزاق الناس ولا تقطعها

(٢) كتب على بن خلف فى وصف جواد أدهمَ أغرّ محجّل فقال سلب الليلَ غياهبـه [١] وكوا كبه ، فاشتمل [٢] بأديمه [٣] وتحلّى بنجومه ، وأطلع من غرته الساذجة قمرا متصـلا بالمجرّة [٤] ، وتملّى [٥] من رُثْمته [٦] بالثُّريّا أو النَّثْرة [٧] ، صـافى القميص ، ممحوض [٨] الفصوص [٩] ، حديد الناظر ، صليب الحافر ، وثيق القصب [١٠] ، نقى العصب ، قصـير المطا [١١] جعد [١٢] الذَسا [١٣] ، كأنما انتعلت بالرياح الاربع أربَعُه ، وأصغى لاستراق السمع مَسْمَعَه ، ان تُرك سار ، وأن غُمِز طار ، ، وان ثنى انحرف ، وان استُوقِف وقف ، أديب نجيب صليب ، صبور شكور ، والله يجعل السعادة مطلع غرته ، والاقبال مطلع ناصيته

(٣) وصف سعد بن المهذّب أترُجّة [١٤] كانت بين يدى القاضى عبد الرحيم.

لله بل للحسن أترجة تذكّر الناس بأمر النعيم
كانها قد جمّعت [١٥] نفسها من هيبة الفاضل عبد الرحيم

---

(١) جمع غيهب وهو الظلمة (٢) تلفف (٣) الجلد (٤) نجوم كثيرة (٥) استمتع
(٦) بياض فى طرف الأنف (٧) كوكب فى السماء كأنه لطع سحاب
(٨) خالص (٩) ملتقى كل عظمتين (١٠) عظام اليدين والرجلين (١١) الظهر
(١٢) قصير (١٣) عرق فى الفخذ (١٤) ثمر من جنس الليمون وهو المسمى بالارنج
(١٥) ضمت

عهد المماليك

من ٦٤٨ — ٩٢٢ هـ

بعد أن حل الدمار بملك بنى العباس وتقسمت الدولة الى دويلات باسيا وشرقى أوربة لم يلبث أهلها إلا قليلا حتى أسلموا وقربوا اليهم العلماء ورغبوهم فى التصنيف والتأليف ،

وتولى زمام مصر مماليك من الترك والجركس لم يكن لهم عصبية ذات خطر فاقتصروا على تولى أعمال الجندية وأسندوا الاعمال الادارية والقضائية الى المصريين، وكانت اللغة الرسمية فى الدواوين هى العربية فنفقت سوق الادب وراجت صناعة التأليف وأصبحت القاهرة موئلا لطلاب العلم يفدون اليها من جميع الاقطار للاستضاءة بنور معارفها ، وقد ساعد على ذلك وجود الازهر الشريف فكان المصباح الذى يرسل أشعته على كل من ينطق بالعربية

لكن الكتاب فى هذا العصر سلكوا طريق الخيال والتزموا السجع وتكلفوا ألوان الاستعارة والطباق وغالوا فى التورية والجناس

وألف علماء هذا العصر من المصريين تآليف نفيسة فى عدة علوم أدبية كما فعل شهاب الدين النُوَيرى صاحب نهاية الأَرَب وابن فَضْل الله العُمرى صاحب مسالك الابصار والقلقَشَنْدِى صاحب صبح الاعشى وابن منظور صاحب لسان العرب والحافظ السيوطى صاحب التآليف القيمة

أما الشعر فقد ضعفت أخيلته واقتصر فيه على سهل الالفاظ والاساليب

حتى استعمل فيه العامى والتركى أحيانا ، وكثر الجناس والتورية والتضمين[١] والتشطير [٢] والتخميس [٣] والاقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية

وتفهت أغراضه لقلة عطف السلاطين على الشعراء فاستعملوه فى الهجاء والخلاعة ووصف مالا خطر له من الاشياء ، كما كثرت المدائح النبوية ومدائح الأولياء والصالحين

وقد اشتهرت مصر فى هذا العهد بصناعة سبك المعادن والعمارة والنقش والتطريز وجودة البناء وهاهى ذى المساجد الفخمة بالقاهرة كمسجد قلاوون والسلطان حسن والسلاطين برقوق والمؤيد والغورى ومسجد قايتباى وغيرها من السبل والمكاتب وما يشاهد فى دار الآثار العربية من القناديل والثريات وكراسى الموائد المصنوعة من الشبه [٤] وحده أو منقوشا بالفضة يدل على براعتهم براعة تأخذ بمجامع الألباب وتدهش العقول

نماذج من النثر والنظم فى هذا العصر

(١) قال المَقْريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ فى وصف جامع المؤيد

هو الجامع الجامع لمحاسن البنيان ، الشاهد بفخامة أركانه ، وضخامة بنيانه ، أن منشئه سيد ملوك الزمان . يحتقر الناظر عند مشاهدته عرش بَلقِيس [٥] وإيوَان كِسرى [٦] أنُوشِرْوان ، ويستصغر من تأمل بديع أسطوانه الخَوَرْنقَ [٧] وقصر غُمْدان [٨]، ويعجب من عرف أوليته من

---

(١) ادخال كلام غيرك ضمن كلامك (٢) أن تأتى بشطر لك مع شطر لغيرك (٣) أن تأتى بثلاث شطرات لك مع شطرين لغيرك (٤) النحاس الاصفر (٥) ملكة سبأ باليمن (٦) الايوان الحجرة العظيمة (الصالون) جمعة أواوين فارسى معرب (٧) قصر بالعراق بناه النعمان الاكبر (٨) قصر باليمن

تبديل الابدال وتنقل الامور من حال الى حال ، بينا هو سجن تزهق فيه النفوس ويُضَام المجهود ، اذ صار مدارس آيات ، وموضع عبادات ، ومحل سجود ، فالله يعمُره ببقاء منشيه ، ويعلى كلمة الايمان بدوام ملك بانيه ،

(٢) وقال القلقشندى فى وصف الديار المصرية

وكانت الديار المصرية ، أعز الله حماها ، وضاعف علاها ، قد تعلقت من الثريّا بأقراطها ، ورجحت سائر الاقاليم بقيراطها ، بشَّر بفتحها الصادق الامين فكانت أعظم بُشْرى ، وأخبر سيد المرسلين أن لاهلها نسباوصهرا فتوجهت اليهـا عزائم الصحابة زمن الفاروق فجاسوا خلال الديار سهلها ووعرَها ، واقتطعتها أيدى المسلمين من الـكفار (وكانوا أحق بها وأهلها)

(٣) وقال الامير صلاح الدين بن عرام يمدح الامير برقوق

لك قلبى تحُلّهْ فدمى لِمْ تُحِلُّهْ
لك من قلبى المكا نَ فلِمْ لاتَحُلّهْ
قال ان كنتُ مالكا فلى الامر كلُّه

(٤) وقال شرف الدين البوصيرى فى رثاء الوزير الصاحب محمد بن على

نم هنيئا محمـد بن على بجميلٍ قدّمتَ بين يديكا
لم تزل عوننا على الدهر حتى غلبتنا يد المنون عليكا
أنت أحسنتَ فى الحياة الينا أحسن الله فى الممات اليكا

(٥) وقال جمال الدين بن نُباته فى الحكم

يامشتكى الهم دعه وانتظر فرجا ودارِ وقتك من حـين الى حين
ولا تعاند اذا أصبحت فى كـدر فانما أنت من ماء ومن طين

الازهر وآثاره

الازهر أقدم جامعة بالقاهرة ومن أقدم جامعات الشرق والغرب أنشأه جوهر الكاتب الصقلى مولى الامام المعزلدين الله حين اختط القاهرة سنة ٣٦١ هـ ليكون مسجدا تقام فيه الصلوات ثم اتخذه ابنه العزيز نزار مدرسة تدرس فيها علوم الشريعة على مذهب الشيعة بعد صلاة الجمعة وبنى بجانبه دارا يسكنها أولئك الفقهاء الذين يدرسون هذه العلوم وأجرى عليهم أرزاقا تكفل لهم راحتهم

ثم جدده الحاكم بأمر الله وأرصد عليه عقارات كانت له بالفُسطاط تصرف فى اصلاح شئونه وادامة الانتفاع به ، ومازال السلاطين والأمراء وأهل البر فى كل عصر يجددونه ويزيدون فيه ويحبسون عليه الحُبُس ابتغاء رضوان الله ونيل مثوبته حتى صارت له الاوقاف الكثيرة التى تفى بحاجته وحاجة العلماء الذين يدرسون فيه والطلاب الذين يفدون عليه من مختلف البقاع وشتى الاصقاع ليستضيئوا بنور معارفه ويقتبسوا من هدى علمائه

وقد كان الازهر ولا يزال كعبة القصاد من هندى وعجمى وزيلعى وبربرى ومغربى وشامى يأتون اليه لينهلوا من موارده العذبة ويتلقوا فيه العلوم المختلفة من شريعة وأدب وتفسير وحديث وفلسفة ورياضة وفلك ، ويجد كل منهم بُلْغة من العيش تسد عَوزَه فهناك أروقة يقيم فيها طلاب كل قطر من هذه الاقطار وتجرى عليهم وظيفة من الخبز مياومة (جراية) ويتعلمون فيه العلم بالمجان ثم يرجعون الى أوطانهم نجوما تقشع ظلام الجهل بل شموسا تشرق فى آفاقها

فله الفضل على كل الاقطار الاسلامية مدى الحقب المختلفة ، فلولاه ما حفظت اللغة العربية فى مصر مدة العصور المختلفة ، وعليه اعتمد مؤسس النهضة الحاضرة مصلح مصر محمد على باشا فقد اصطفى منه رجال البعوث وأساتذة المدارس فى أنحاء القطر ، كما كان فيما بعد ذلك مصدرا لطلبة دار العلوم والقضاء الشرعى الذين صاروا أساتذة اللغة العربية فى المدارس وقضاة المحاكم الشرعية ،

وقد تخرج فيه الكثير من أفاضل العلماء وأكابر الكتاب والشعراء والمؤلفين فى سائر العلوم العربية والشرعية ممن شهروا بالتحقيق وصحة النظر وسداد الرأى وتولى منهم الجم الغفير القضاء والفتيا والتدريس بالديار المصرية وسواها .

وقد بلغ عدد طلابه أوائل القرن التاسع الهجرى نحو سبعمائة وخمسين طالبا كما رواه المقريزى ويبلغون الآن نحو اثنى عشر ألفا بل يزيدون عليها فى الازهر وملحقاته بالاسكندرية وطنطا واسيوط ودمياط ودسوق .

وقد توالت عليه أيام سعد ونحس وبؤس ورخاء وتبدلت نظمه ومناهجه الى أشكال شتى ولا تزال الأمة تنظر اليه نظرة إجلال وإكبار وترجو أن يكون أهلوه حفاظ الشريعة فيقوّم بهم المعوَجّ من الاخلاق ويقوموا بضروب الاصلاح المختلفة فى كل سبل الحياة الدينية والمدنية فى ظل تلك الحكومة الدستورية التى أغدقت على أهله وافر الخيرات ، ورعاية مليك البلاد أدام الله ملكه

انحطاط اللغة العربية بعد القرن العاشر

فتح العثمانيون الديار المصرية فى القرن العاشر الهجرى سنة ٩٢٣ هـ وظلت خاضعة لهم مدى ثلاثة قرون توالت فى أثنائها المحن والكوارث وصارت البلاد ميدان اضطراب ومثار فوضى بين المماليك والعثمانيين ، وكلاهما لا يعنى بحال الشعب ولا يهتم باصلاح شئونه ونزل بالبلاد قحط وجدب ترك الناس من أجله الديار تنعى من بناها وجعل السلطان سليم اللغة الرسمية فى البلاد هى التركية فسدت أبواب الكسب ووجوه الرزق أمام العلماء والأدباء ولم يكتف بهذا بل شتت شملهم وحمل نفائس الكتب الى مقر الخلافة فرجحت كفة اللغة التركية فى البلاد على العربية فى الكتابة والمحادثة ووصلت هذه الغاية فى الوهن والضعف

كأن لم يكن بين الحَجون الى الصفا أنيس ولم يَسمر بمكة سامر (١)
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالى والجدود العواثر (٢)

وتناقصت الرغبة فى إحسان صناعتها ولم يعد فى استطاعة الكاتب إصابة شيء من وجوه البلاغة فأصبحت الكتابة مجرد فقار من السجع المتكلف وتسرب اليها الدخيل والعامى واستعصى على جمهرة الشعب أن يعبر عن أفكاره لتمكن العجمة منه فوضعت دواوين تشمل عدة صور من المكاتبات يستعير منها الكاتب صورة قل أن تناسب غرضه أو تبلغ به ما يريد

---

(١) الحجون جبل بمكة والصفا مشعر من مشاعر الحج (٢) الجد الحظ والعواثر جمع عاثور الشدة

وبقيت اللغة العربية لغة الخطابة فقط مع اقتصارها على خطب الجمع والاعياد وكانت كلها تحوم حول التخويف من عذاب القبر وهوله ووصف الجنة ولذاتها والنار وآلامها

واخترع فى صناعة التأليف تدوين التقريرات والحواشى مع ضعف عبارتها وزيادة تعقيدها عما كانت عليه قبل وصار ذلك موضع التنافس والتفاخر بين العلماء ، وليس أدل على ذلك من أن تنظر الى تاريخ الجبرتى وهو من جلة العلماء فى القرن الثانى عشر فانك ترى العجب العاجب من خطأ فى النحو والتصريف ، الى عبارات سفسافة ركيكة بل عامية فى كثير من الاحايين وفيها الالفاظ التركية الفاشية فى ذلك العصر ولولا أن قيض الله لمصر من أنقذها من تلك المظالم وأهاب بها من سباتها العميق لأصبحت اللغة أثرا بعد عين

النهضة الحديثة فى مصر واسبابها

بعد أن تم لذلك العبقرى النابغة محمد على باشا الاستواء على عرش الديار المصرية أبدى من مضاء العزيمة وقوة الارادة وأصالة الرأى ماجعله المثل الاعلى فى حكم الشعوب التى خيم عليها الجهل الاحقاب الطوال وأفسد عليها الاستبداد أخلاقها ولغتها وحكومتها ، فأداه صائب رأيه الى أن دعائم الاصلاح ثلاث التربية القويمة والادارة المنظمة والجيش المدرب ، لكنه نظر نظرة أخرى فرأى أن ذلك الاصلاح لايتم الا بالاستعانة باهل اوربة الذين سبقوا الشرق وساروا شوطا بعيدا فى طريق الحضارة والمدنية فاستقدم كثيرا من الاخصائيين الفرنسيين وغيرهم واستخدمهم فى ضروب الاصلاح

المختلفة من طب وهندسة ونظام الجيوش ـ كما أرسل البعوث من أبناء البلاد ومهاجرة الترك والالبان لتكون معوانا على نقل معارف الغرب الى الشرق فبعث ثلاثة بعوث يتلو بعضها بعضا كونت ثلاث طبقات من الضباط والمهندسين والاطباء والعلماء كانت لها اليد الطولى فى ترجمة عشرات الكتب الى اللغة العربية فأكسبها ذلك ثروة جديدة فى الاساليب والاغراض والمعانى ،

وعهد الى هؤلاء العلماء فى إنشاء المصانع والمدارس وكانت اللغة العربية هى لغة التعليم فى كل ذلك فنبغ كتاب وشعراء ومنشئون اشتغل منهم جماعة بتحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) وكانت أول جريدة عربية فى العالم الاسلامى

ثم أذكى جذوة هذه النار حفيده اسماعيل فافتتح المدارس والمكاتب واتخذ من رجال البعوث الذين رباهم جده رؤساء فى الدواوين ومدرسين فى المدارس ، وأسس دار الكتب الخديوية ومدرسة دار العلوم ولكلتيهما فضل لايجحد على العلم والادب ، ومما عزز هذه النهضة وجود الازهر الذى كان مصدر رجال البعوث ، وإنشاء مدارس المعلمين والقضاء وغيرها من المدارس الثانوية والابتدائية فى حواضر المديريات ، وإنشاء الصحف والمجلات ، والتمثيل باللغة العربية الفصحى ، وإنشاء المحاكم الاهلية فوجدت بذلك لغة قانون أكسبت اللغة ألفاظا وأساليب جديدة ، وشيوع تعلم اللغات الاجنبية وجعل تعليمها جبريا فى مدارس الحكومة فنقل بذلك كثير من أساليب الفرنجة ومعانيهم فحصفت بذلك الافكار واتسعت المعانى وكثرت أغراض الكلام وترجمت ألوف الكتب والروايات واستفاد منها

الجم الغفير ممن لا يعرف لغات أخرى ، وقد ترك الكتاب التكلف والمبالغة وترفعوا عن الملق ومدح الافراد بما لا يستحقون وساروا على الفطرة فى التعبير عن الحقائق ونحوا نحو الغرب فى الاخيلة والاساليب وان خالف الاسلوب العربى أحيانا .

وقد كانت الحرب الكبرى وما أحدثته من الثورة فى الافكار فى مختلف الشعوب لاسيما مصر مصدر حياة جديدة للغة اذ قام المصريون يخطبون فى الاندية والمحافل ويكتبون فى الصحف والمجلات مطالبين بنيل استقلالهم وحرية بلادهم

وقصارى القول أن عصرنا يعد من أرقى عصور العربية بمصر فقد أصبحت بلادنا قبلة العالم العربى ومركز حضارته بمن نشأ فيها من كبار العلماء والمؤلفين والقضاة والمحامين وكتاب الجرائد والمجلات والخطباء والشعراء

وممن كانت لهم اليد على البلاد فى هذه النهضة على باشا مبارك وعبد الله باشا فكرى ورفاعة بك الطهطاوى والسيد جمال الدين الافغانى ومحمود سامى البارودى والشيخ محمد عبده وابراهيم المويلحى والشيخ على يوسف وخطيب مصر الزعيم الكبير سعد زغلول باشا

اثارة من نثر هذا العصر وشعره

من كتاب للاستاذ الامام الشيخ محمد عبده يشكر لحافظ بك ابراهيم تعريبه البؤساء

لو كان لى أن أشكرك لظن بالغت فى تحسينه ، أو أحمدك لرأى لنافيك أبدعت فى تزيينه ، لكان لقلمى مطمع أن يدنو من الوفاء بما يوجبه حقك ويجرى فى الشكر الى الغاية كما يطلبه فضلك ، لكنك لم تقف بعرفك

عندنا بل عممت به من حولنا وبسطته على القريب والبعيد من أبناء لغتنا

زففت الى أهل العربيـة عروسا من بنات الحكمة الغربية سحرت قومها ، وملكت فيهم يومها ، ولا تزال تنبه منهم خامدا ، بل لا تزال تحيي من قلوبهم ما أماتته القسوة وتقوّم من نفوسهم ما أعوزته فيهم الأُسوة

ومن مقال لشوقي بك يخاطب به ابنيه واصفا لهما قناة السويس عند مانفى الى الاندلس إبّالس الحرب الكبرى

تلك يا ابنى القناة ، لقومكما فيها حياه ، ذكرى اسماعيل ورياه . (١) وعليها مفاخر دنياه ، دولة الشرق المرّجاه ، وسلطانه الواسع الجاه . طريق التجاره ، والوسيلة والمناره (٢) . ومَشْرع (٣) الحضاره . تعبرانها اليوم على مُزْجاه (٤) . كأنها فلك النجاه . خرجت بنابين طوفان الحوادث وطغيان الكوارث . تفارق برا مغتصبه مُضَرّى الغضبه . قد أخذ الاهبه واستجمع للوثبه . وتلاقى بحراجُنّت جواريه (٥) ونزت بالشر نوازيه (٦) وتمثلت بكل سبيل عواديه، مملوء بيغتات الماء . مُتْرع بفجاءات السماء . من نون (٧) ينسف الدوارع . أوطير (٨) يقذف البيض مصارع . فقلت سيرى عوذتك بوديعة التابوت (٩) وبصاحب الحوت (١٠) وبالحى الذى لا يمرت واسرى يا ابنة اليم . زمامك الروح (١١) ورُبانك نوح . فكم عليك من منكوب ومجروح .....

---

(١) الرائحة (٢) العلم (٣) مورد (٤) سفينة (٥) جمع جاريه السفينة (٦) النوازى جمع نازية الحدة (٧) الحوت ويقصد به النسافة (٨) الطيارة والبيض القذائف (٩) موسى (١٠) يونس (١١) جبريل

وقال محمود سامى باشا البارودى المتوفى سنة ١٣٢٢هـ فى الفخر

وانى امرؤ لولا العوائق أذعنت ... لسلطانه البدو المغيرة والحَضْرَ
من النفَر الغر الذين سيوفهم ... لها فى حواشى كل داجية فجر(١)
اذ استل منهم سيد غَرْب سيفه ... تفزّعت الافلاك والتفت الدهر(٢)
لهم عَمَد مرفوعة ومعاقل ... وألوية حمر وأفنية خضر(٣)
ونار لها فى كل شرق ومغرب ... لمدرِع الظلماء ألسنة حمر(٤)
تمدّ يدا نحو السماء خضيبةً ... تصافحها الشعرى ويلثمها الغَفْر(٥)

وقال حافظ بك ابراهيم يرثى محمودا باشا سامى البارودى

لبيك يا مؤنس الموتى وموحشنا ... يا فارس الشعر والهيجاء والجود
مُلك القلوب وأنت المستقل به ... أبقى على الدهر من ملك ابن داود
لبّيك ياشاعرا ضن الزمان به ... على النُّهى والقوافى والاناشيد
لو حنّطوك بشعر أنت قائله ... غنيت عن نفحات المسك والعود
لبيّك ياخير من هزّ اليراع ومن ... هزّ الحسام ومن لبىّ ومن نودى(٦)

---

(١) الداجية الظلمة والحواشى الجوانب (٢) غرب السيف نصله (٣) أفنية خضر كناية عن الكرم (٤) مدرع الظلماء اى جاعلها كالدرع (٥) الشعرى الكوكب الذى يطلع فى الجوزاء والغفر ثلاثة أنجم صغار (٦) لبى قال لبيك بمعنى أجاب

ونجعل مسك الختام قول شوقى فى مديح صاحب الجلالة الجالس على عرش مصر أعز الله ملكه وأدام ولى عهده

فؤادُ حلّيت جيد النيل مأثرة ... حذوتَ فى صوغها آباءك النجُبا
مازلتَ فى السلم تغزو كل معضلة ... بالحلم حتى اقتحمت المعقِلَ الأَشِبا(١)
وان للمجد آفات اذا جُمعت ... وجدتهن اثنتين الحقد والغضبا
إن سرك الملك تبنيه على أسس ... فاستشهد البانيين العلم والادبا
وارفع له من حبال الحق قاعدة ... ومُدمن سبب الشورى له طُنُبا(٢)

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) المعقل الحصن والاشب الملتف شجره فيصعب اقتحامه (٢) الطنب الحبل الذى يشد به سرادق البيت

الفهرس

الصفحة	الموضوع
١	تمهيد ـ تاريخ أدب اللغة ـ فائدته
٢	عصور اللغة
٣	اللغة العربية فى الجاهلية
٤	النثر والنظم ـ المرسل والسجع ونماذج لذلك
٥	مميزات النثر فى العصر الجاهلى ـ الخطب
٧	خطبة للمأمون الحارثى ـ الوصية
٨	وصية أكثم بن صيفى ـ الحكمة ـ أشهر الحكماء
٩	المثل ـ بعض أمثال هذا العصر
١٠	الشعر ـ دواعيه
١١	كيف بدأ الشعر ـ ألفاظ الشعر وأساليبه
١٢	أغراض الشعر وفنونه ـ نماذج لذلك
١٦	نشأة الكتابة الخطية فى بلاد العرب
١٨	اللغة فى العهد الاسلامى الى سقوط دولة بنى أمية
١٩	القرآن الكريم ـ مشتملاته
٢٣	العناية بجمع القرآن وكتابته وقراءاته
٢٥	أثر القرآن الكريم فى اللغة ـ النثر فى هذا العصر وأثر الاحوال الاجتماعية فيه

الصفحة	الموضوع
٢٧	مثل من النثر فى هذا العصر
٢٩	النثر وأثر الاحوال الاجتماعية فيه
٣٠	شذرات من النثر فى هذا العصر
٣٤	انتشار اللغة العربية وحواضر الادب فى العالم الاسلامى
٣٤	حواضر الادب
٣٥	مكة والمدينة ـ البصرة والكوفة
٣٦	دمشق
٣٧	بغداد ـ قرطبة
٣٨	القاهرة
٣٨	اللغة العربية فى العهد العباسى
٣٩	رجال الخطابة فى هذا العصر
٤٠	الكتابة فى هذا العصر
٤١	نماذج من الخطب والرسائل والتوقيعات والمقامات
٤٣	النثر فى هذا العصر
٤٤	نماذج من شعر هذا العصر
٤٧	الترجمة والتأليف فى هذا العصر
٤٨	الادب والفنون بمصر فى عهد الفاطميين والمماليك
٤٨	العهد الفاطمى
٤٩	نتف من النثر والنظم فى هذا العهد

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٥١	عهد المماليك	٥٦	انحطاط اللغة العربية بعد القرن العاشر
٥٢	نماذج من النثر والنظم فى هذا العصر	٥٧	النهضة الحديثة فى مصر وأسبابها
٥٤	الازهر وآثاره	٥٩	إثارة من نثر هذا العصر وشعره